عبد اللطيف عاشور

السيرة النبوية

للأطفال

مكتبة القرآن

جلال عباده

عبداللطيف عاشور

السيرة النبوية



للأطفال

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٤٠ شارع رشدي - عابدين - القاهرة
تليفون : ٣٩١٨٦٩١ فاكس : ٣٩٣٧٣٢٦

وكلاء التوزيع

السعودية

مكتبة الساعي : الرياض ت: ٤٣٥٣٧٦٨ - فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ - فرع جدة ت: ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة ت: ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة ت: ٨٢٤٢٧٧٥ - ص.ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

المغرب

دار الاعتصام : 35/33 الممر الملكي - الأحباس - الدار البيضاء - ت: 85 42 30
فاكس: 39 45 44 02 212 00

الإمـــارات

دار الفضيلة : دبي - ديرة - ص.ب : ١٥٧٦٥ - ت : ٦٩٤٩٦٨ - فاكس : ٦٢١٢٧٦

البحـــريـــن

دار الحكمة ص.ب : ٢٣٨٧٥ - هاتف : ٢٣٦٠٣٢

الجماهيرية العربية الليبية

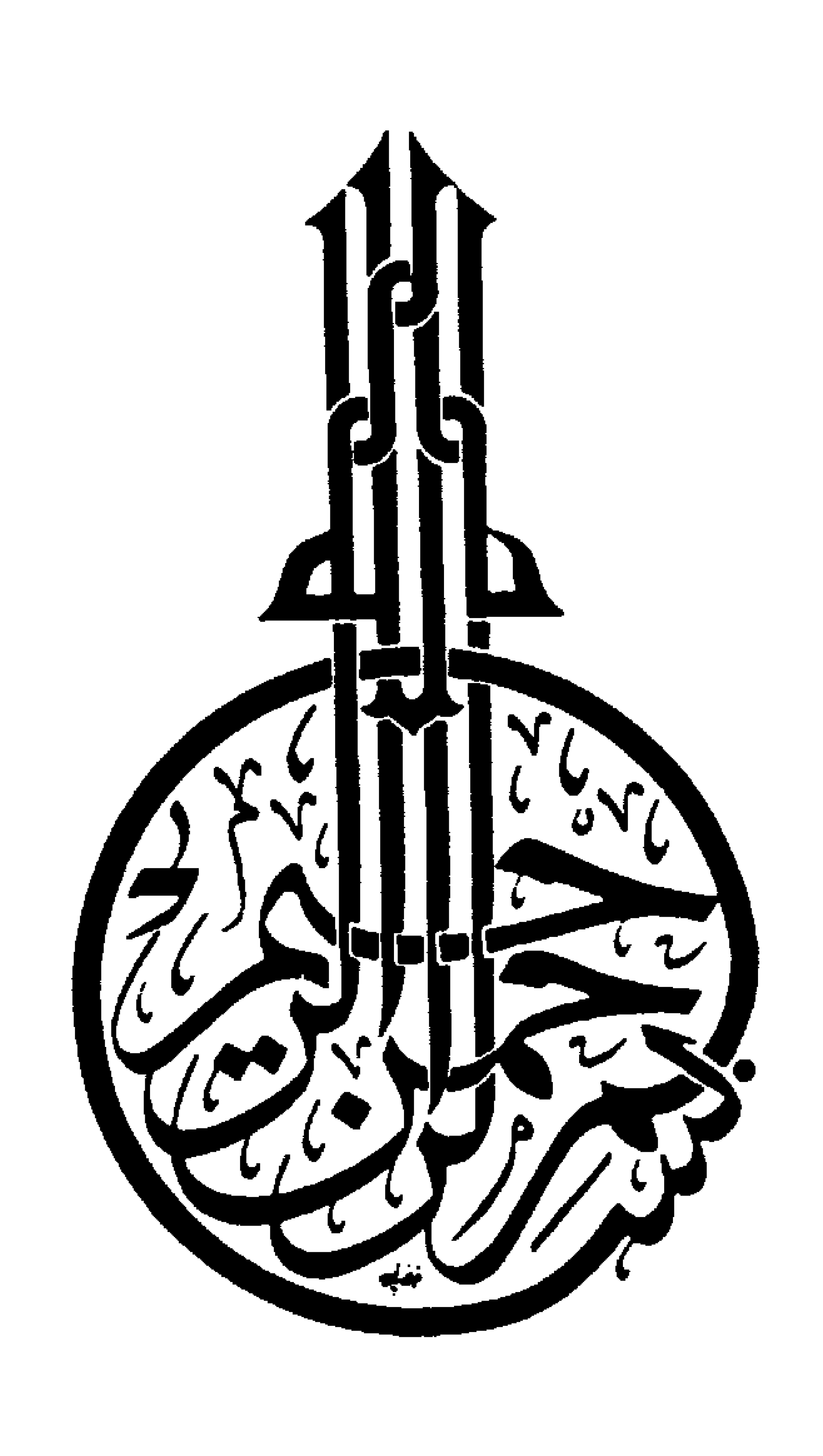
دار الفرجاني : ص.ب : ١٣٢ هاتف ٤٤٨٧٣ - ٦٠٤٤٣١ طرابلس : الجماهيرية العربية الليبية

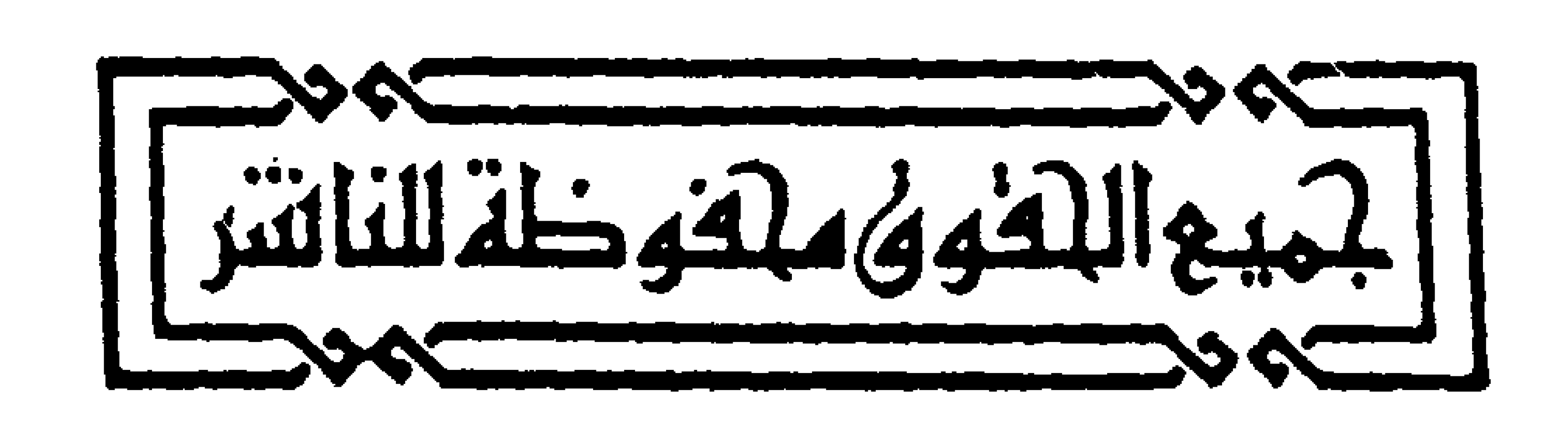
فلسطين

مكتبة اليازجي : غزة شارع الوحدة - فاكس : ٨٦٧٠٩٩ - ت : ٨٦١٨٩٢

اليمن

مكتبة العاصرية للنشر والتوزيع : صنعاء - الخط الدائري الغربي
ص.ب : ١٩٧٣٠ - ت : ٢٧٧١٦٨


بسم الله الرحمن الرحيم





تقديم

أبنائى الأعزاء ...

سلام الله وبركاته عليكم وبعد ..

فهذه سيرة نبينا محمد ﷺ فيها لنا هدى ونور وبشرى ..

هُدًى لمن أراد الهداية ، والبعد عن الضلال ..
ونور لمن يحب النور . ويكره الظلام ..
وبشرى لمن كان له قلب يحب الله ورسوله .. ويمتلىء بالهداية والنور .

ولقد علَّمنا ربنا سبحانه وتعالى أن النبى ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم .

ومن أجل هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على اتباع سنته ، ويسيرون على هداه ويترسمون خطاه ، ويسألون زوجاته عن أحواله فى بيته ، وعن عبادته ، وعن أسلوب معاملته لأهله ، وأخلاقه معهن من أجل الاقتداء به ﷺ والسير على نهجه ، والتمسك بسيرته العطرة .

وإذا كان هذا هو حال الصحابة ، وهم الذين كانوا يعاصرون الرسول ﷺ وينعمون بالقرب منه ، فأولى بنا نحن الذين بيننا وبين عصره ما يقرب من « خمسة عشر قرناً من الزمان » ــ أن نقبل على السيرة النبوية العطرة لنعرف عن نبينا ما ينفعنا فى دنيانا وديننا ، وها هى ذى « سيرته » صلى الله عليه ، ورضى الله عن صحابته ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب .

عبد اللطيف عاشور

القاهرة فى ١٢ من ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ
٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٨٥م



القسم الأول

[أنا آبْنُ الذَّبِيحَيْن ..]

(بُنَيَّ العزيز) : هذا ما قالَهُ رسُولُ الله ﷺ ؛ فمن هما الذَبيحان ؟ وكيف كان ذلك ؟

فمنذ مئاتِ السِّنين ، حَطَّ أبو الأنبياء « **إبراهيم الخليل** » عليه السلام ـــ رحالَهُ فى وادى « **مكَّة** » ، ومَعَهُ زوجته « **هاجر** » ورضيعُها « **إسماعيل** » ؛ وكان الوادى أَرْضاً قَفْراءً ، خاليةً من كُلِّ شَيْء ؛ ثم تَرَكهُما هُناكَ وولّى يُريد الْعَوْدة إلى « **حَبْرون** » فى فلسطين ؛ فقالت له « **هاجر** » : آللهُ أَمرك أن تَتْركنا هُنا ، قال : نَعَمْ ، فقالَتْ بإيمانٍ وَثقةٍ وصَبْرٍ : [**إنّ الذى أَمَرَك لايُضيِّعُنا**] .

وأَقامَتْ هُناك مع وليدها الرَّضيع ، حتى إذا أنْتهى ما فى سِقائها من ماء ، وما فى جرابها من تَمْر ، واشْتَدَّ صُراخ الرضيع من الجوع والعطش ، قامَتْ فى لَهفةٍ تَبْحث .. وتَجْرى هنا وهناك ، **وتعتلى** « **الصّفا** » حيناً « **والمروة** » حيناً آخر ، ثم تَنْظر إلى البعيد ، لعلَّها ترى أثراً يهديها ، أَوْ يُنْقذها ..

ولمّا عادَتْ إلى حيث تركتْ آبْنها وَجَدَتْ الماء يَتَفَجَّر من باطن الأَرْض ، قريباً مِنْهُ ، ويتدفَق فوق الثَّرى ، فَأَخَذَتْ تَزُمّه[1] بكلْتا يَدَيْها ، وقد انْفَرَجَتْ أساريرُ وجهها الحزين ونظارتها اللاهفة ، كما هدأت أنفاسها المتلاحقة اللاهثة ..

فَسَقَتْ طِفلها ، وشربت ..، حتى ارتَوَيا ..

ومَضَتْ أيام ... وقد آستَقَرَّ المقام « **بهاجر** » و « **إسماعيل** » فأقَامَتْ لها خباءً تأْوى إلَيْه ، وتُمارس الحياة بِفطريَّتها الخالِصَة ...

---

(١) تزُمّه : تجْمَعه لكيلا يتبدد ويتَفرّق .

وصَادَف أَنْ مرَّ بذلك الوادى نَفَرٌ من قبيلة « **جُرْهم** » ، فلمّا رأوا الْخَيْمَة عجبوا . وآزداد عَجَبُهم عندما رأوا الماء وهو يَفُور من باطن الْأَرْض ، غزيراً نميراً ، فأَقْبَلوا على « **هاجر** » مَسلّمينْ مُستأْذنين فى الإقامة ..، فَأَذِنَتْ لهُم .

وبَدَأ المكان يَحْفَلُ بأَسْباب الحركة ، ومظاهر الحياة .

ولا تنس يا بُنَىَّ العزيز أن سيِّدنا « **الخليل** » ـــ عليه السلام ـــ حين آستَوْدع زَوْجَتَهُ « **هاجر** » وولده « **إسماعيل** » بَيْن يدى العناية الإلهية ، فى ذلك المكان الْقَفْر الموحش ، الذى لا ضَرْع فيه ولا زَرْع ..، لا تَنس دُعاءَه :

قال : ﴿ ربّنا إنّى أسكنتُ من ذُرّيّتي بوادٍ غير ذى زَرْعٍ عند بَيتك المحرّم * ربّنا ليُقيمُوا الصلاة * فاجْعَلْ أفئِدَةً من الناس تَهْوى إليهم وآرزُقْهُم من الثمرات لعلّهم يَشكرون ﴾ [إبراهيم ٣٧]

وتَسْأَلُنى ـــ يابُنَىَّ العزيز ـــ، ولك الحق فى السؤال : إذاً كان « **البيتُ الحرام** » مَوْجوداً ؟

فأُبادِرُ إلى الْقَوْل : بأَنَّ أَمر الله تعالى لنبيِّه « **الخليل** » ـــ عليه السلام ـــ فى تَرْك « **هاجر** » و « **إسماعيل** » فى ذلك المكان ، يُوحى **بقُدْسيَّتِه ...!!**

ومع مرور الأَيَّام والْأَعْوام ، كان « **إبراهيم الخليل** » ـــ عليه السلام ـــ يَتَقَدَّم بِهِ السِّنّ ، و « **إسماعيل** » يشبُّ شباباً ،

فلمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْى ، وأَضْحى « **إسماعيل** » غلاماً فَتِيّاً ، ذلك أن زَوْجَتهُ الأُولى « **سارة** » ، كانت عاقِراً لا تَلِدْ ، ولم تكُنْ قد حَمَلَتْ ـــ بَعْدُ ـــ بـ « **إسْحاق** » .

وكانت الرؤيا آبتلاءً من الله تعالى لِنَبيِّهُ « **إبراهيم الخليل** »

ولـ « **إسماعيل** » ــ عليهما السلام ــ فى آنٍ واحد .

فقال « **إبراهيم** » : ﴿ **يابُنَيَّ إنّى أرى فى المنام أنّى أذْبَحُك فانْظُر ماذا ترىٰ * قال : يا أَبَتِ افعَلْ ما تُؤْمر ستجدُنى إنْ شاءَ الله من الصابرين** ﴾ .

ذلك أنَّ رُؤيا الأنبياء حقّ ، وهى كالوحْى تماماً ..

﴿ **فَلَمّا أَسْلما** ﴾ أمْرَهَما وقدرهما إلى المشيئة الإلهية ﴿ **وَتلَّهُ للجبين** ﴾ ثم وضع « **إبراهيم** » شفرة السكّين على رَقَبة « **إسماعيل** » ، جاءَتهُما البُشْرى من السَماء يزفُها « **جبريل** » ــ عليه السلام ــ ، ومعه كبْش عظيم ، فداءً لـ « **إسماعيل** » ﴿ **وناديناه أن يا إبراهيم قد صَدَّقْت الرؤيا إنّا كذلك نجزى المحسنين * إن هذا لهُوَ البلاءُ المُبين * وفديْناهُ بذِبْحٍ عظيم** ﴾ ...

وامتلأ قلْبا الأَبِ والابن بالْفَرح العظيم ؛ وغَشِيتْهما أنوار الرّضى والرحمة .

وتَسلْسَلَتْ ذُرّيَّةُ « **إسماعيل** » ــ عليه السلام ــ إلى سيدنا ونبيِّنا « **محمد** ﷺ » ، فكان « **إسماعيل** » الذَّبِيح الأَوَّل .

وأَمّا الذَّبيحُ الثانى فهو « **عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم** » ــ والد النبيِّ « ﷺ » ؛ وَقِصَّة ذلك أَنّ قُرَيْشاً كانَتْ تُكاثِرُ « **عبد المطلب** » ــ جدّ النبى ــ بالذُّرّيَّةَ ، وتُفاخِره بالعَدَد وبالْغنى ــ أيضاً ــ، وهو نَوْع من صراع النفوذ القبلىّ .

فَنَذَر « **عبد المطّلب** » : لَئِنْ رَزَقَهُ الله عَشْراً من البنين الذكور لَيَذْبَحَنَّ آخرِهم ، تَقَرُّباً للآلهة .

ولقد تمَّ لـ « **عَبْد المطلب** » عَشْر ذُكُورٍ بولادَةِ « **عبد الله** » والد

النبىِّ « ﷺ » ؛ ولمّا أَراد تنفيذ النَّذْر ، قام الناسُ فى وَجْهِهِ لِيَمْنَعُوهُ ، حتى لا يكون ذلك فى الناس سُنَة ...

فقالوا : ماذا تَفْعَلُ إذاً ؟

فاَقترحُوا أن يَذْهبُوا إلى عرّافةٍ فى « **الْيَمَن** » يَسْتفْتُونها فى **الْأَمْر** ، فقصدوها ..، فَطَلَبَتْ إِلَيْهِم أن يَضْرِبوا بالقداح على « **عبد الله** » وعلى عَشْرٍ من الإبل ، تكُونُ له فداءً ، ثم يزيدوا فى ذلك إن خَرجت الْقِداح على « **عبد الله** » ، حتى تَرْضى **الآلهة** .

فعادوا إلى « **مكة** » ، وأُجْروا الْقُرعة ...، وما زالت الْقِداح تَخْرُج على « **عبد الله** » حتى المَرَّة العاشرة ، فخَرَجَتْ على الإبِل ، التى بَلَغ تعدادُها مائةً .

واَفْتُدِىَ « **عبد الله** » ، أَغْلى فداء ...

وكان الذَّبيح التالى .

الشبابُ ونُورُ النُّبوَّةِ ..

ولقد كان « **عبد لله** » من أَحَبَّ أبناء « **عبد المطلب** » إلى قلْبِهِ ، خصوصاً بَعْد الفداء ، وبعد أن بدأ يشبُّ ويكْبر وتتجلّى فى جبينه أَنوارٌ لم تُعْهد فى غَيْرِهِ من الناس ...

حتى إنّه فى مُقْتَبَلِ شبابِهِ كانَتْ تَتَعَرَّضْ له فتاةٌ قُرشيَّة ، وتدْعوهُ إلى الزواج مِنْها ، بكُلّ ما عِنْدها من إعجابٍ وآفتِتان ؛ فكان « **عبد الله** » يُعْرض عنها حياءً ، ويحمرّ وجهه خجلاً ..، مما يزيد الإشراق فى جَبْهَتِهِ وجبينه تألُّقاً ويزيد الفتاة القرشيَّة تعلُّقاً ..

الزّواج من « آمنة بنت وهب » :

وآختار « عبد المطلب » لِوَلَدِه « عبد الله » فتاةً من « بنى زَهْره »

تُدعى : « آمنة بنت وهب » ، فَزَوَّجَهُ إيّاها ؛ وهَنِيءَ أَحَدُهما بالآخر ، هناءَةً بالغة ، وقضت أياماً طيّبةً حُلْوة ..

وصادَفَ أن « عبد الله » كان ماراً ذات يَوْم فى أحد طُرُقات « مكة » ، فالْتقى بالفتاة القرشيّة التى كانَتْ تَتعرَّض له من قَبْل ، وتدعوهُ إلى الزواج منها ..

ولكنّها هذه المَرَّة .. توقّفتْ قليلاً تَنْظر فى وَجْهِ « عبد الله » ، ثم تَابعتْ طريقها ،..

فَفَكْر « عبد الله » فى المْوقِف قليلاً .. بضْعَ لحظاتٍ ...، ثم آستَجْمَعَ شجاعَتَهُ ، فناداها ..، ثم دعاها إلى الزّواج !!؟ فقالت :

أما الآن فلا ..،

لقد ذهَبَ ذلك البَريقُ الذى كان يشعُّ فى جبهتِه ، واسْتَقَرَّ فى أحشاء « آمنة » وأدَّى « عبد الله » مهمّتَهُ ودَورَهُ على مَسْرَحَ الحياة والوجود .

وفاةُ « عبد الله » ...

وبعد ثلاثة أَشْهُرٍ من حَمْل « آمنة برسول الله ﷺ » ، خَرج « عبد الله » مع قافلةٍ تجاريّة إلى الشام « غَزَّة »[1] ، وفى طريق العَوْدة وقَع فريسة للمرض ، فأقام فى « المدينة » عند أخوالِهِ من « بنى النجّار » ، وهنا وافاهُ الْأَجل ، ودُفِن .

وتَلَّقى « عبد المطلب » نبأ الوفاة بيالغ الْحزْن والْأَسى ، وكذلك العروس « آمنة » ـــ التى لم يَكُنْ قد مَضى على زواجها من « عبد الله » سوى أَشْهُر قلائل ؛ وزادها إحساساً بالفاجعة التى فُجِعت بها ترْك الجنين فى أَحشائها ..

---

(١) فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ، كلها دبار الشام .

أما « **عبد المطلب** » فكان يأتيها بيْن الحين والحين ، متحاملاً على نَفْسِه ، كاتماً آلامه وأحزانَهُ ، ما آستطاع إلى ذلك سبيلاً ، ليُواسيها ويُعزّيها وليطمئنّ على حَمْلها ، ثم يقدّم لها ما يلزمها فى شؤونِ معاشها .

ولم يكُنْ أحدٌ لِيَدْرى أنها حَمَلَتْ « **بسيّد وَلَدِ آدم** » وأنّ بين ضلوعها جنيناً هو أقْدَسُ الأجنّة وأطهرها .

سوى أنَّ « **آمنة** » كانَتْ تَشْعُرُ أثناء الحمل بأحوال وأوْضاع غريبة عجيبة ، حدَثَتْ عنها بعد ذلك .

الـولادة :

وتَمْتَ أشهُر الحمل ، ودنا يَوْم الوضْع ، وبَدَأَ الطَّلْقُ يعاوِدُها ، ورغم شِدْتِهِ وثِقَلِهِ لم تحسّ ألماً ولا نصباً .

ومَعَ فجْر يوم الاثنين الثانى عشر من شَهْرِ ربيع الأول ، عام خمسمائة وسبعين للميلاد وَضَعِتْ « **آمنة بنت وَهْب** » وليدها ..

وكانت ليلة خَفَت فيها بدار « **آمنة** » آلاءٌ وأنْوار ، وكانَتْ أفْواج الملائكة تَغْدو بيْن السماء والأرْض يُبَشّر بعضها بَعْضاً .

وُلد « **عليه الصلاة والسلام** » مَسْروراً مختوناً[1] ، ووقَعَ من بَطَنِ أمّه ساجداً .

وحُمِلَ النَبأ إلى « **عبد المطلب** » الذى فَرِح بِهِ غاية الْفَرَح ، وأشْرَقَ وَجْهُهُ ، ونَفَخَ مَنْ نَقَلَ إليْه البُشْرى عطيَّةً جزيلة ، ثم أقْبَلَ يُبادر إلى بَيْتِ « **آمنة** » ...، ودَخَلَ قائلاً : أرونى ابْنى ..

وحمله بيْن يَدَيه فى رفقٍ وحنان ، وتَرَقْرَقَت فى عَيْنَيْه ، دموع امْتَزَج فيها حنينُ الذّكرى بحنانِ الأُبوَّة .

---

(١) مسروراً : أى مقطوع الحبْل السُّرى . ومَخْتوناً : مُطهّراً .

وأسْماهُ « مُحمداً » ..

الرَّضاع ...

وكان من عادةِ الْعَربِ أنْ يسترضعُوا أوْلادهم فى الْبوادى حَيْثُ تتوفَّر لهم أسْبابُ النَشْأةِ البدنية السّليمة ؛ فكانت « **مكة** » ــ أم القرى ــ محطّ أنْظار أعْراب البادية يأْتونها ليحمْلوا منها المولودين ، مع وافر الأَجْر ، وجزيلِ الأعْطيات ؛ وذلك لغنى « **قريش** » ومكانتها .

فى تلْك الآونة ...، نزل بـ « **مكة** » جماعةٌ من بادية « **بني سَعْد** » لهذا الْغَرض ، وراحت النسْوة منهن يَطُفْنَ الْبُيوت ، وكُنَّ جميعاً يُعرِضْنَ عن « **محمد** » ــ ﷺ ــ ليُتْمِهِ وفَقْره .

وكانت « **حليمة بنت أبى ذُؤيْب** » ــ السَّعْديّة ــ واحدةً من هؤلاء ، فَأَعْرضَتْ كما أعْرضَنَ ، ولكنّها بعد طوافِها على أكْثَر البيوتات لم تظفر ببغيتها ، ولم تجد طفلاً رضيعاً تحْمِلُه معها ، ليخفّف أجْرُهُ ما تُعانيه من شظف العيْش وقسوة الحياة ، وخاصّة فى سنتها الْمُجْدبة تِلْك !!!

فَكَرَّت راجعةً إلى بَيْت « **آمنة** » ، راضِيَةً بالطِّفْل اليتيم ، والأَجْر القليل ...،

بَرَكةُ رسُول الله « ﷺ »

ولقد حَضَرَت « **حليمةُ** » إلى « **مكّة** » مع زوجها على أتانٍ هزيلةٍ ، بطيئةَ السَّيْر ، قَصدت بها مراتٍ عديدة عن مُواكبةً صُوَيْحباتها ، كما كانت مَوْضع تَنَدُّرِهِنَّ وسُخْريتهنَّ ، وفى طريق الإياب ، وهىَ تَضَعُ رسولَ الله « ﷺ » فى حجرْها ، كانت الأتانُ تَعْدو عَدواً سريعاً ، وتَنشَط حتى تُخلِّف وراءَها كلَّ الدَّواب ، مِمَّا

جَعَلَ رفاق الطريق يَعجبُونَ كل الْعَجَب .

وأيضاً ، تُحدِّثُ « **حليمة** » أَنَّ ثَدْيها لم يكُن يدرّ بقطرة لَبنٍ ، وأن طفلها الرضيع كان دائم البكاء من شِدَّة الْجُوع ، فلمّا أَلْقَمَتْ ثديها رسُول الله « ﷺ » دَرَّ غزيراً .

وتحدِّث عن جَذْب أَرضها فى ديار « **بنى سَعْدِ** » ، فلمّا حَظيتْ بِشَرَفِ رضاعة « **المصطفى** ـ ﷺ » أَنْتجتْ أَرضها وماشيتها ، وتبدَّل حالها كله ، من بُؤْسٍ وفَقْرٍ إلى هناءٍ وَيُسْر .

وقضى « **عليه الصلاة والسلام** » سنتين فى حجر « **حليمة** » ، وهى حريصة كل الْحِرْص عَلَيْه ، تُحِسُّ من أعماقِها بأشياء وأحْوال غير عاديّة تحيط بهذا الطّفل ، وَبِمَنْ حَوْله ـــ أيضاً .

ثُمَّ أَتَتْ بِهِ إلى أُمِّهِ وَجَدِّه فى « **مكة** » ....

وكم كانَتْ فَرحَتُهما بِهِ !!

فكان « **عبد المطلب** » يَحمِله ، ويطُوفُ به حَوْل « **الكعبة** » ويردّد :

الحمدُ لله الذى أعطانى هذا الغُلام الطيِّب الأرْدان

أَما « **آمنة** » فقد آشْتَدَّ تعلّقها بِهِ ، وقد رأتْهُ كبِرَ وَنَمَا ، وبدأ يُدْرك الوجوه والأَصوات والأَشْياء .

لكنّ « **حليمة** » التى رَأَتْ من برَكتهِ « ﷺ » ما غَيَّر حالها ، أَلَحتْ على « **آمنة** » أَنْ توافق على بقائه عندها وفى حجْرِها مَرَّة ثانية ، فوافقت « **آمنة** » .

وعادَتْ « **حليمة** » إلى ديار « **بنى سَعْدِ** » ومعها الطّفل اليتيم ، الْقُرشيّ العظيم ، تغمرها الْفَرْحة ، وتحلّق بها السعادة .

شقُّ الصَّدْر :

وفى ذات يَوْم ، وكان « **عليه الصلاة والسلام** » قد قارَبَ الرابعة من عمره ، وبَيْنما هُو يلْهو مع أخيه من الرضاع ـ ابن « **حليمة** » ، فى نَجوةٍ عن الأَخبية والخيام ..

جاء « **ابن حليمة** » إلى أُمِّه ، وهو يَجْرى وعلى وجهه سماتُ الجزع ، وطَلَبَ إليها أَنَّ تُدْرك أخاه الْقرَشىّ ...، فسأَلَتْهُ عن الْأَمر ؛ فقال :

لقد رَأَيْتُ رجُلينِ فى ثيابٍ بَيْضَاء ، يأْخُذانِهِ من بَيْننا ، ويُضْجعانِهِ ثم يَشُقَان صَدْره ..

وقبل أن يُتمَّ الرواية ، كانت « **حليمة** » تَرْكُضُ نحو « **محمد** » الطِّفل اليتيم ، والقرشى العظيم ، فَرَأَتْهُ واقفاً فى مكانِهِ لا يَتحرَّكُ ولا يريم ، وقد عَلَتَ الصُفْرةُ وَجهه ، وآمْتَقَعَ لَوْنُهُ ، فَسَأَلَتْهُ فى لهفةٍ عمَّا أَصابَهُ ، وجرى له ، وإن كان بِهِ بَأْس أَوْ أَلَمْ ؟؟ فَأَخْبَرَها أَنَّهُ بخَيْر ، وحكى لها أن رَجُلَيْنِ فى ثيابٍ بَيْضاء ، أَخذاهُ من بَيْن أَتْرابِهِ[1] جانباً غير بعيدٍ ، فَشَقّا صَدْره ثم أَخْرَجا قلْبه فاسْتَخْلصا مِنْهُ علقة سَوْداء طرحاها ، ثم غَسَلا الْقَلْبَ بماءٍ باردٍ ، ثُمَّ أَعاداهُ إلى الجوْف ، ثم مَسَحا فوْق الصَّدْر ، وغادرا المكان ، ثم آختفيا .

وحاوَلَتْ « **حليمة** » أَنْ تَتَجَسَّس مَوْضع الشَّقِّ والشَّرْح ، فلم تَرَ أثراً ، ثُمّ عادَتْ بـ « **محمد** » ـ ﷺ ـ إلى الْخباء .

ومع إطلالة فَجْر الْيَوْم التالى ، كانَتْ « **حليمة** » تَحْمل « **محمداً** » إلى أُمّه فى « **مكة** » ..

وآسْتَغْرَبَتْ « <u>**آمِنَةُ**</u> » عَوْدة « **حليمة** » فى غَيْر أَوانها ، كما استَغْرَبَتْ

---

(١) الأتراب : مفردها : تِرْب وهو الذى فى مِثْل سِنّه .

حِرْصَها على إرْجاعِهَا الطفل إلى أَهْله بعد أن كانَتْ حريصةً على بقائِهِ عِنْدها ، وسَأَلْتها عن السَّبب ، فحدَّثَتْها « **حليمة** » ، بَعد إلحاحٍ — عن حادثة شَقّ الصَّدْر ، ولم تَجد « **آمنة** » عجباً أَوْ جَزَعاً ، ولكنّها قَالت إنّها قد رَأَتْ هى الأُخرى من حَمْلِهِ أَعْجَبَ من ذلك وأَغْرب ، وكذلك أثناء وَضْعِهِ ، وأضافت : « **إنه سيكون لابْنى هذا شأْن وأىُّ شأْن** » .

وفاةُ « آمنة » ، وأَبْلَغُ الْيُتْم ..!

وخَرَجَتْ « **آمنة** » بطفْلِها اليتيم إلى « **يَثْرب** » لزيارة أَخْوالِهِ من « **بنى النجار** » ، فمكثت أَيّاماً ، ثمّ وافاها الأجل المحتوم وهى فى طريق العوْدة ، فى مكانٍ يُسمَّى « **الأبْواء** » ، وهناك **دُفِنَتْ** .

ولا تَسَلْ — يا بُنَىَّ العزيز — عن مَوقِفِ النبىِّ « ﷺ » طِفْلاً صغيراً ، فَتَحَ عينيه على نُورِ الحياة دون أَن يُحِسَّ حنان الْأُبُوَّة ، وها هو فى الرابعة من عُمره يودّع صَدْراً حنوناً ، وكتَفاً أَميناً ، وقَلْباً جيّاشاً بالعاطفة ...، فتَرَقْرَقَتْ فى مآقِيه الدُّموع ... وبكى ..!

وكان على « **عبد المطلب** » جدُّه أَنْ يُعوِّضه الكثير ..، فَرَعاهُ وكَفله ، وحنا عَلَيْه بكُلَ ما أَوْدع الله تعالى فى قلْبِهِ من عاطفةٍ كريمةٍ طيِّبة .

ولا تَنْسَ يابُنىَّ العزيز — مكانة « **عبد المطلب** » فى « **بنى هاشم** » بل فى « **قُرَيْش** » كلها ، إذْ لم تَكُنْ قد مَضَتْ سنوات قلائل على وقْفتِهِ الرائعة الجبارة فى وَجْه « **أَبْرهة الحبشى** » الذى قدِم من « **اليمن** » فى جَيْشٍ ضخم ، يسوقُ أمامَهُ فيلاً ، يريد أن يَهْدم به « **الكعْبة** » ..

لم يُواجه « **عبد المطلب** » « **أَبْرَهَةَ** » بسلاح السَّيْف والرُّمْح ، بل

واجَهَهُ بسلاح التوكُّل على الله ، ربّ البيْتِ الحرام ، فهُو الذى يحميه ويحرسُهُ .

ويُذَكّر الله تعالى نبيَّه « ﷺ » والعرب ، والبشريَّة قاطبةً بذلك اليوم ويقول عزّ من قائل :ـــ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصحاب الفيل * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدهُم فى تضليل * وأَرْسَلَ عليهم طَيْراً أَبابيل * ترميهم بحجارةٍ من سِجِّيل * فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مأْكول ﴾ .

لقد كان ذلك اليوم ، يوم « **عَبْد المطلب** » فى وقفته الإيمانيّة الشُّجاعة ، كما كان ذلك العام ، عام « **محمد** ﷺ » الذى فيه وُلد .

ففى « **قريش** » احْتَلَّ « **عبد المطلب** » مكانته السامية ، وكان مَوْضع التقدير والاحْترام ، وأَيْضاً فى « **بنى هاشم** » لأنه رأْس الأُسْرةِ ، وعَلَمُ الجماعة .

ولقد سَرى كُلُّ ذلك إلى « **محمد** » ـــ الطّفْل اليتيم ، يُحبُّهِ الجميع ويقدّرونه ـــ رغم طفولتِهِ ـــ بسبب من جدِّه العظيم .

ويأتى الطّفْل اليتيم نحو الفراش ليَجْلسَ بإزاء جَدِّه ، وفى المَّرة الأولى يُحاولُ بعضهم أَن يَمْنَعه آحتراماً لمقام « **عبد المطلب** » ، فَيَزْجرهم « **عبد المطلب** » ويُؤنبهم ، ثم يأْخُذ بيد « **محمد** » ، ويحتضنه ، ثم يُجْلسُهُ بجْنبهِ ..

وعَرَف الجميع قَدْر « **محمد** » عند « **عبد المطلب** » ، فأَنْزلُوهُ من نفوسهم وقلوبهم منزلاً كريماً .

كَفَالَةُ « أبى طالب »

ومع تمام السادسة ، من عمره « ﷺ » ، توفى جدُّه « عبد المطلب » ، وآنتقلت زعامة « بنى هاشم » إلى « أبى

طالب » ــ عمه ــ ، فكفله ورعاه ، رغم كثرة عياله وقلّةِ ماله ، وعامله « **أبو طالب** » ــ وكذلك زوجته ــ كواحدٍ من أبنائهما ، يغدقانِ عليه من فيْضٍ عطفهما ومحبّتهما .

ولقد تَعَلَّق الطّفل اليتيم بِعمِّه إلى حدٍ بعيد ، وأَحَسَّ بمعانى الأُبوَّة تسرى فى كيانِهِ كأنها أشعّةُ الفجرِ بعد ليله الطويل الحزين ، وكذلك معانى الأمومة ووشائجها ، فما كان يُنادى زوجة عمِّه إلاّ : يا أماه .

وفى هذا الجوّ الدافىء بدأ تكوُّنه الأوّلىّ ، برعاية الله سبحانه وتدبيره ، ونشأ على الصدْق والأمانة ، تلك الخلَّتانِ البارزتان ، فى صباهُ وشبابِهِ ، حتى كانتا له لَقباً يُعْرف به ، حتَى من غَيْر الاسْم العلم .

فإذا ما قيل فى نادٍ أو مُجْتمعٍ : حَضَرَ « **الأَمين** » ، عُرِف أَنَّه « **محمد بن عبد الله** » ــ ﷺ .

إلى الشام « ونبُوءَةُ بُحَيْرى » :

وكان « **أبو طالب** » واحداً من تُجّار « **قريش** » يَغدو مع القوافل إلى « **الشام** » ، يبيع ويَشْترى ..

وفى يَوْم كان يَتَجَهَّزُ فى دارِهِ للسَّفَر ، فَتعلَّق به ابنُ أخيه « **محمد بن عَبْد الله** » ورجاهُ أن يأْخُذه مَعَهُ .

وهُنا لا نستطيع أن نحدّد دافعاً مُعيّناً إلى ذلك ، فَلَعلَّهُ حُبُّ السَّفَر ، ولعلَّه حُبَّ العمل والاعْتماد على النَّفْس فى الكسْب ، ولعلَّه خوْف الشعُور بالفراغ لغياب العمّ عن البيْتَ والدار ؛ لعلّ بعضها ، أو لعلّها جميعاً !!

المهمّ ..

أن « **أبا طالب** » حاول أن يُثنى « **محمداً** » عن ذلك ، فَسنّه إذْ

ذاك لم تتجاوز الحُلُم ، ولكنَّ « **محمداً** » بكى ...، وكانَتْ دُمُوعُهُ أَغْلَى عند « **أبى طالب** » من كُلّ شىْء ، فوافق بَعْد تردُّد منه ، وإلحاحٍ من ابن أخيه .

وخَرَج « **عليه الصلاة والسلام** » مع عَمّه فى قافلة « **قريش** » ، التى مضت فى طريقها باتجاه « **دمِشْق** » ، تَنْهَدُ بها الروابى والكُثْبان ، وتَسْفل بها القيعانُ والوِدْيان .

وكان من إحدى محطّاتها فى الطريق مدينة « **بصْرى** » — فى أرضُ حَوْران —؛ وكان من عادة بعض المسافرين أن يُعرِّجوا على راهبٍ هُناك يُقيم فى صَوْمعةٍ له ، يُدْعى « **بُحيْرى** » ، يحادثونَهُ وَيُحادثهم .

فلمّا تَمَّ نزولهم ، هذه المَرَّة قريباً من صَوْمعتِهِ ، رأى أَمْراً يدعو إلى التدبُّر والتفكُّر ... والتأمُّل ... ومراجعة النّفْس ...

رأىِ غمامةً تُظَلِّل فَوْق رجالهم ، وفى غَيْر أُوانها !! فَدَعاهُم إلى طعامِهِ ، وطلب إلَيْهم أن يْحضروا جميعاً ، بلا آستثْناء .

فحضروا كُلّهم ما عدا « **محمداً** » — ﷺ —، فقد آثر البقاء فى الرِّحال ، لِصِغَر سِنّه ، كما قيل .

فلما جاؤوا « **بُحَيْرى** » ، وبقيتِ الغمامة حيث هى ، سأَلَهُم إن كانوا حَضَروا جميعاً ، فقالوا : نعم ، ما عدا أَحَد الغلْمان ، هو « **محمد بن عبد الله** » — ابن أخى « **أبى طالب** » ، فَسَأَلهُ « **بُحَيْرى** » أن يأتى بآبن أخيه ليحضر معهم وليمتهُ .

فَفَعل « **أبو طالب** » ذلك ، فلمّا جاءَ رسُولُ الله « ﷺ » أَخَذَ « **بُحَيْرَى** » يَتَفَحَّصه ، وخصوصاً ما كان يَعْرف من أَمْر خاتَم النُّبوَّة الذى هو بَيْن كَتِفَىْ رسُول الله « ﷺ »...، فلمّا وَثِقَ من ذلك ، قال لِـ « **أبى طالب** » : إن لابْنِ أخيكَ شأْناً فاحْتَفِظْ بِهِ ..!

وأَتَمَّت القافلة رِحْلتها ، فباعَتْ واشْتَرتْ ، ثم عادَتْ من حَيْث أَتتْ .

الصِّبا والشباب :

وبدأ رسُولُ الله « ﷺ » منـذُ ذلك الحين فى محاولة الاعتماد على نَفْسِهِ فى شؤون حياتِهِ وكسْب معاشِهِ ، رغم مقامِهِ فى كَنَف عَمّه ، ويَبْدو أن العمَّ ، الرقيق الحال ، الكثير العيال ، قد ساعَدَه على ذلك وشجَّعَهُ ، لاضنّاً بِهِ ، بل بَعثاً لِأَصالةِ الرُّجُولةِ فى نَفْس الفتى .

فبدأ عليه الصلاة والسلام ، رِحْلَةَ العمل والكسْب ، فعَمل راعياً لِبَعْضِ الْقُرشيين على أَغْنامهم ، مُقابِلَ حِصَّةٍ معلومة ، وأَجْرٍ محدود .

وكان كما عَهِدْنَاهُ من قَبْل غايةً فى الْأَمانةِ والصّدْق ، والْعِفَّةِ والطهارة ، لا يميل إلى لهْو الشباب وعَبَثِهم ، وينفر عن ذلك كل النّفُور ، فبدا عَلَماً بَيْن الناس ، فى الاستقامة وسمُوِّ الْخُلُق .

وتكرَّرَتْ رحلاتُهُ إلى « **الشام** » ..

وانخرط فى رِحْلةٍ كانَتْ قد ساهَمَتْ فيها ، « **خديجة بنتُ خُوَيْلِدٍ** » بمالٍ كثير ، و كانت سيدةً ثريَّةً ، ذات حَسَبٍ ونَسَبٍ ، مشهورة فى « **قريش** » كُلِهّا ، وعلى جانبٍ عظيمٍ من الأَدَبِ والصِّيتِ الْحَسنَ .

وكان وكيلها على مالِها فى تِلْك الرِّحلةِ « **مَيْسرة** » غلامها ومدير أَعْمالها ؛ وَبَبَركة رسُول الله « ﷺ » ، وأَمانتِهِ ، رَبحَتْ تجارة « **خديجة** » ربْحاً لم يَعهدْهُ من قَبْل ، فَسَأَلَتْ غلامها « **مَيْسرة** » عن سبب هذا الرِّبْح العظيم ، فأَنْبأَها بأَنّ « **محمد بن عبد الله** » كان معهم ، وتَوَلّى بَدَلاً مِنْه عمليَّة العرْض والبيْع ، ولقد أَقبَلَ الناسُ عليه إقبالاً رائعاً ، يدعو إلى الدَّهْشة والتّعجُّب ...، فكان الرِّبْح الوفير من غَيْر بَخْسٍ ولا ظُلْم .

« خديجة » والزواج من رسُول الله « ﷺ »

أَصْغَتْ « **خديجة** » إلى ما قاله غلامها « **مَيْسرة** » بكل جوارحها وأحاسيسها ، وكانَتْ تَعْرِفُ عن « **محمد بن عَبْد الله** » بعض الْأُمور ، تَسْمعُها من هنا وهناك ، فَٱشْتَدَّ إِعجابُها ، وتحرَّك فى قَلبها الحنين ..

وكانَتْ قد تَزوَّجَتْ من قَبْل ، وتُوفِّى عَنها زوجها .

فَأَرادت أن تَدْخُلَ فى تَجْربة جديدة ، هى ولا شَكَّ غاية ما تتمنّاهُ من توفّر أسباب السعادة والهناءة والاستقْرار ، فى كَنَفِ زَوْج هُوَ « **محمد بن عبد الله** » .

ولكن .. كيْف السبيل إلى ذلك وهُوَ لم يطلبْها للزواج ؟!

وحياؤها كأُنثى ، وكرامَتُها كسيِّدةٍ من سيِّدات « **قريش** » تأْبيان عليها المباشرة والمواجهة !!

فأُرسلت إحدى قريباتها تَسْتَطْلِعُ لها من طرفٍ خفيٍّ تجاوُبَ « **محمد ابن عبد الله** » ـــ ﷺ ـــ فى ذلك الأمر ، وكان « **عليه الصلاة والسلام** » قد بَلَغَ الخامسةَ والعشرين من عمره الشريف .

فأَتَتهُ السيِّدة تقُول : لقد آن لك يا « **محمد** » أن تَتزَوَّج ، فقال : ومن أيْنَ لى مؤونة الزواج ونفقات الْأُسْرة !؟

فقالت : وإذا توفّر ذلك من غَيْر جهْدٍ مِنْك !؟ فقال : ومن أَيْن ذلك ؟

قالت : « **خديجة بنت خُوَيْلد** » ... ذات الحَسَب والنسَب ، والْخُلُق الرفيع ، والمال والثروة ... ، فَسَكتَ « **عليه الصلاة والسلام** » قليلاً ، ثم قال : وهل لها رَغبةٌ بى ؟ قالت : نَعَم ..؟

قال : على بَرَكَةِ الله .

وتَمَّت الخطبة ، وحَضَرَها عَنْه عَمُّه « **أبو طالب** » ، وعماه « **العباس** » و « **حَمْزَة** » ؛ وحَضَرها من جانب « **خديجة** » ابن عمّها « **وَرَقة بن نَوْفل** » الذى كان من شخصياتِ « **قريش** » البارزة ، عِلْماً وفَضْلاً ، كما كان من المتحنّفين الذين يكرهون ما عليه قومهم من عبادة الأَصنام وسُوءِ المَذْهب الاجْتماعي فى ممارسة أَلْوانٍ وأَنماطٍ من الحياة ، كُلّها فاسد ضارّ[1] ...

ثم أُعْلن النكاح ، وتزوَّج « **محمد بن عبد الله** » ــ « ﷺ » من « **خديجة بنت خويلد** » ، فكان زواج عقل راجح إلى عَقْلٍ راجح ، وخلق كريم إلى خُلُقٍ كريم .

وأخذ « **عليه الصلاة والسلام** » فى إدارة شؤون ثروة « **خديجة** » الطائلة ، وتولى المهمة بتفويض منها وثقة ، وأَثْبَتَ كفاءَتَهُ ومقْدرته .

وهَنِىء كُل مِنْهُما بالآخر ، وسَعِد بِهِ أَيما سعادة ؛ ومَضَتْ بهما سفينةُ الحياة فى نَعِيم هادىءٍ لا تُعكِّر صَفْوَهُ مَوْجة نِزاعٍ ، أَوْ عاصفة شجار .

وتتابَعَ حَمْلُ « **خديجة** » وولادتها ، فكان لها من البناتِ : « **زيْنب** » و « **رُقَيَّة** » و « **أُمّ كلثوم** » و « **فاطمة** » ؛ أما الصِّبيان فَقد ماتُوا جميعاً ؛ « **القاسم** » ، وبِهِ كان يُكنّى رسُولُ الله « ﷺ » ، و « **الطاهر** » و « **عبد الله** » .

وفى تلْك المرحلة الزمنية من عمره الشريف « ﷺ » ، كان بَيْن شاغلَيْن : الأولّ ، هو القيامةُ على شؤون الأسرة ؛ فكان زَوْجاً وأَباً مثالياً ، ورَبَّ أُسْرةٍ يرعاها حقّ الرعاية ، يدبِّر شؤونها ، ويُدير أُمورها ، ويَحْنو عليها فى حدبٍ وَعطْفٍ وحُسْن توجيه ..

---

(١) ولقد قيل إنّه كان قد تنصَّر .

وأما الشاغل الثانى فهُوَ الوضْع الجاهلىّ برُمَّتِهِ الذى عَلَيْه قوْمه ، من عبادة الأَوْثان والتردِّى الاجتماعى من خمر وميْسر ، وزنى ، وربا ، ووأْد بناتٍ ، وغيْر ذلك ، فكان « **عليه الصلاة والسلام** » نافراً عن كل ذلك ، كارهاً له ، ينْصرِفُ بيْن الحين والحين إلى التأمل والتفكُّر والتّدبُّر ، والعُزْلة أيضاً ؛ لأَنها سبيلُ الصّفاء الوجْدانىّ .

ولقد كان « **عليه الصلاة والسلام** » مَوْضع آحترام كُلّ الناس وتقْديرهم ، حتى الكبار والسّادة من بطون « **قريش** » ؛ يُعظّمون رَأْيه ، ويقدّسُون كَلِمَته ، ويروْن فيه الحكْمة البالغة والحكْم الصائب الذى لا يزيغ .

إعادة بناءِ « الْكَعْبة » :

وحَدَث فى بَعْض السنين أَنْ هَدَم السَّيْل الغزيرُ بَعض جدران « **الكعبة** » ؛ وَحين أُرادَتْ « **قريش** » إعادة البناء ، وشمَّرتْ عن ساعِدِ الْجِدّ ، وقضَتْ قُدُماً فى الْعَمَل ، ثم بلغوا مَوْضعَ « **الحجَرِ الأَسْود** » ، تنازعُوا فيمن يكونُ له شَرَف ذلك ...، وآخْتَلفُوا إلى حدّ الاستنْفار ، وسَلِّ السُّيوف ، والتَّقاتُل ..

ثم قال قائلهم : نُحكِّم فى خلافنا هذا أَوَّل داخلٍ علیْنا من هذه الجهة .

ولِأَمْرٍ قدَّرهُ الله وقضاه ، كان رسُولُ الله « ﷺ » هو أَوّل الداخلين ، فقالوا : هذا هُوَ « **الأمين** » ...، رضينا بِهِ حَكَماً .

فقام « **عليه الصلاة والسلام** » بِبَسْطِ ردائِهِ ، ووضع « **الحجر الأَسْود** » فى وسطِهِ ، وطلب إلى الزعماء والقادة أَن يُمْسِكوا بأَطْراف الرداء ويرفعُوه ، فلما قاربُوا مكان « **الحجر** » من « **الكعْبة** » تناوله « **عليه الصلاة والسلام** » بِيَدِه الشريفة وأَعادَهُ إلى مكانِهِ ، وهكذا

ساهم الجميع بهذا الشَّرف ، وحُلَّ النّزاع ، وحُسِمَ المَوْقف المتأزّم ، فى ذلك الحين الخامسة والثلاثين .

فبادَرَ إلى « **خديجة** » يُواسيها ، ويخفّف آلامها ، ويقوم على شؤونها ورعايتها ، ويضم الأُسرة تَحْتَ جناحِهِ الشريف ، وصَدْره الحنون .

(النَّبوَّة)

ومع آقتراب سنّه الشريف من الأَرْبعين ، كان « **عليه الصلاة والسلام** » قد أَصْبَحَ خَلْقاً آخر ، فيه شفافية وصفاء ، وارتفاعٌ عن مادِّيَّة الأَرْض إلى رُوحانية السّماء ، وكثرة انقطاع وعُزْلة ، وإمعان فى التدبُّر والتأمُّل ، ووحدة وخَلوة فى غارِ « **حراء** » ، فى جَبَلٍ يَقَع فى ضاحية « **مكّة** » ، يَقْضِي هُناك أياماً وليالى ..

هذه العُزْلة كانَتْ تُسمّى : « **التَّحَنُّث** » ؛ وكان يُمارسُها بَعْض الذين هجروا سُوءَ أَحْوال المُجْتمع القرشِي الجاهلِي ، لكنّ الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعلُ رسالته .

ولقد مرَّ « **عليه الصلاة والسلام** » ، قَبْل لَيْلتِهِ العظيمة ، « **لَيْلة الْقَدْر** » ، التى بُشِّر فيها بالنُّبوَة ، وأُنْزِل عليه فيها القرآن ، مرَّ بدَوْرٍ من الدُّنُوِّ والتّقارب ، فقد كان يُحِسُّ بوَهَجٍ من الإشراق فى القَلْب والنَّفْس والوجه[1] ...، ويُحدِّثنا « **عليه الصلاة والسلام** » بأنَّه كان يتراءى له بأَنَّ الجمادات من حَجَرٍ وشَجَرٍ تُسلِّم عليه بالنُّبوة .

كانت ليلتُه « **عليه الصلاة والسلام** » لَيْلة السابع والعشرين من شَهْر « **رمضان** » ، ففى تِلْك الليلة ، وبيْنا هُوَ على عادته فى التحنُّث فى « **غار حراء** » ــ وقد بَلَغَ سنّ الأربعين وبَلَغَ من الصّفاء الوجْدانى أسمى حالاتِهِ وأَرْفع درجاتِهِ ، أتاهُ الروح الأمين « **جَبْريل** » ــ عليه

(١) حتى إن الكثيرين يحدّثون عن هذا الإشراق النورانى الذى كان يتبدّى فى وَجْهِهِ الشريف « ﷺ » .

السلام — فى ضَغْطةٍ نورانيَّةٍ شديدةٍ لا يُطيقُها بِشر ، ليقول له : [آقْرأ] .

فقال : **ما أنا بقارىء ...**

فى لهْفَةٍ ورجْفَةٍ ، وعرَقٍ صبيب ..

فعاوَدَهُ « **جبريل** » للمرَّة الثانية والثالثة ، وفى الثالثة يقول : **﴿ اقرأ باسْم ربِّك الذى خَلَق ۞ خَلَق الإنسان من عَلَق ۞ اقرأْ وربُّك الأَكرم ۞ الذى علَّم بالْقَلَم ۞ علَّم الإنسان ما لَمْ يَعْلم ﴾** .

ثم انْصَرَف عنه ، ولم يُطِقْ رسُول الله « ﷺ » البقاء فى « **حراءٍ** » أَكْثَرَ من هذا ، **فعادَ** إلى بيْته وأَهلِهِ ، وأوى إلى فراشِهِ وقال لِـ « **خديجة** » : دثّروني .. دثّروني[1] ....

لقد كان يَرْتجف من شِدّةِ الْبَرْد ، **ويتصبَّبُ مِنْهُ الْعَرَق !؟**

وبَعْد أَنِ استَراح ، وهدأَ ، عاوَدَه ضَغْط « **جبريل** » النُّورانىّ ، وهُوَ يقول : **﴿ يا أَيُّها المُدَّثّر ۞ قُمْ فأَنْذِرْ ۞ وربَّك فكَبِّر ۞ وثيابَكَ فَطَهِّر ۞ والرّجْز فاَهْجُر ﴾** .

وعاودتْهُ الرَّجْفَةُ وصبيبُ الْعَرَق .

وعَرَفت الزَّوْجة الفاضلة « **خديجة** » مابِهِ ، وما يأْتيه ، فَهدَّأَتْ رَوْعه ، وخَفّفتْ من قَلَقِهِ ؛ وذَهَبَتْ إلى ابن عمّها « **وَرَقَة بن نوْفل** » تُنبئه وتَسْتَفْتيه ، فقال لها : إِنَّهُ واللهِ الناموسُ الأَكْبر الذى كان يأْتى نَبىَّ الله « **موسى** » ..

فعادَتْ « **خديجة** » — رضى الله عنه — وفى رَأْسها من المعانى ما ينوءُ بِهِ رهْط من العلماء والحكماء ، وفى قلْبها من المشاعر والأحاسيس ، المُختلجة المتشابكة ، ما تَنَخِلعُ له قُلُوب الْعُصْبَةِ أُولى القوّة .

---

(١) أى غطّونى بالدّثار ؛ وهو اللحاف وما يُشْبِهُهُ .

ولكنها كانت رابطة الجأش ، مُتَماسكةً ..

فأَقْبَلَتْ على زَوْجها بوجْهٍ بشوشٍ ونَفسٍ فيّاضةٍ بالْحُبّ ؛ ولسانٍ يَقْطُر شهْداً وعَسَلاً ؛ تُثَبِّتُهُ وتعُينُهُ ، وتقول له :

ــ والله يا بن عَمّ ، إنّك لَتَحْمِلُ الْكلَّ ، وتقرِي الضّيْفَ ، وتُكْسِبُ المعْدوم ، وتُعين على قضاء الحوائج ، فَلَنْ يَخْزيك الله أبداً .

فَنَزَلَتْ كلماتُها فى نَفْسِهِ « **عليه الصلاة والسلام** » بَرْداً وسلاماً .

يا أَيُّها الْمُزَّمِّل ...

وغاب عَنْه الروح الأمين أياماً ، ثم أتاهُ بوَحْيٍ من آيات الله وبيانِهِ ، فلمّا انْفصَل عنه ، وجد « **عليه الصلاة والسلام** » فى جِسْمِهِ قشعريرةً وبَرْداً ، والعرَق يتصبَّبُ فى جبينِهِ مثل حبّ الجُمان[1] ، فقال لِأَهْلِهِ : زمِّلونى ... زمِّلوني ...[2] .

وما لَبِثَ « **جبريل** » ــ عليه السلام ــ أن جاءَه ليقول :

﴿ يا أَيُّها المزَّمِّل * قُم الليْل إلاّ قليلا * نِصْفَهُ أو انْقُصْ مِنْه قليلا * أَوْ زِدْ عليْه ورتّل القُرآن ترتيلا * إنَّا سنُلْقى عَلَيْك قوْلاً ثقيلا ﴾ .

فقام « **عليه الصلاة والسلام** » ، وقد ذَهَبَتْ عَنْه دَوْرة الْوَحْيِ ، ليقول لزوجته الرؤوم الحنون : [لقد مضى أوانُ الراحةِ يا « **خديجة** »] .

ولبَّت الزَّوْجة الفاضلةُ نداء الإيمان ، فَشَهِدَت لله بالوحْدانية ، ولزوْجها الكريم العظيم بالنُّبُوَّة والرسالة ، فكانا الخليَّة الأولى فى أُمَّةِ الإسلام .

---

(١) الجمان : اللؤلؤ .

(٢) التزمُّل : هو التدثُّر بالأغطية السميكة .

أوّل الصِّبْيان ، وأَوّل الموالى ، وأَوَّل الرِّجال .. إسلاماً .

ولقد كان رسُولُ الله « ﷺ » وفاءً منه لعمِّه « **أبى طالب** » ، الذى كفله ورعاه بعد أُمّه وَجَدِّه ، وتعهَّدَه طِفْلاً و شاباً ، قد راعى ذلك ، واسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ من أَبناء عَمِّه « **علياً** » ، يربيّه عِنده فى بَيْتِهِ ، ويُنْفق عليه ويرعاه .

وفى هذا الجوّ العابق بالوحْى ، الزاخر بالأنوار الْقُدْسيّة المتنزّلة على رسُول الله « ﷺ » فَتَحَ « **علىّ** » قَلْبَهُ وعَقْلَهُ ، وتلقّى كلمة الإسلام ، فآمَنَ واتّبَع ، ولم يكُن قد سَجَدَ لصَنَمٍ أَو وَثَنٍ ، فكَرَّم الله وَجْهَه ، وفِكْرهُ وحِسَّهُ عن كُلّ أَوْضار[1] الجاهلية .

ورأى « **زيْدُ بن حارثة** » مَوْلى « **خديجة** » حركات غَيْر عاديّة فى جَوّ الأُسْرة ، وتحرُّكاتٍ لم يَفْهمْها بادىء الْأَمْر ، فَسَأَل عَنْها ، وحين أَدْرك أَبْعادها ومراميها ، آنْخَرَطَ طائعاً مختاراً فى الرَّكْب ، راضياً قانعاً ..

وحدَّث رسُولُ الله « ﷺ » صديقه وصَفيَّه من الناسِ ، فى أَمْرِ الإسلام ، « **أَبا بكر الصديق** » ـــ « **بن أَبى قُحافة** » ..، فما أَسْرع ما آسْتجاب ، من غَيْر تردُّدٍ ولا تَلكُّؤٍ .

مِنَ السِّرِّيَّةِ إلى الْعَلنيَّة ..

استمرَّ رسُول الله « ﷺ » فى سِرِّيَّةِ الدَّعوة ؛ والمقصودُ هنا بالسِّرِّيَّةِ ، سريّة المكان الذى يجتَمع فيه بأصحابِهِ وأتباعِهِ ، والأشْخاص الذين يَدْعُوهم ثم يُسْلمون ؛ لِأَنَّه « **عليه الصلاة والسّلام** » ، كان قد عُرِف عَنْهُ أَنّه يدعو إلى دينٍ جديد ينبذ عبادة الأصنام وتَقْديسها ، وإخلاص القلوب والنفوس لِلْخالق العظيم ، رب السموٰات والأَرض ومن فيهنّ ، كما يدعو إلى تطهير المجْتمع من الفساد والانْحلال ، ومن

---

(١) أوضار : أوساخ .

كل رذيلة .

ولقد آمن بِهِ الكثيرون وآتبعُوهُ ، ولكنّهم كانوا يُخْفُون إسلامهم وإيمانهم ، فإذا ما آكتُشِفَ أَمْر واحدٍ منهم تَعَرَّض لأَقْسى صنوف العذاب والفتنة لِيَرْتَدَّ عن الإسلام ..، كما حَدَث لـ « **ياسر** » و « **سُمَيَّه** » وولدهُما « **عمّار** » ، إذ مات الْأَبوانِ شَهيدَيْن تحْت وطأة التعْذيب ، ولم يُتْرك « **عمّارٌ** » حتى نال[1] من رسول الله « ﷺ » .

ولقد كان « **عليه الصلاة والسلام** » يمُرُّ وهُمْ يُعذَّبُون فيواسيهم بِقَوْلِهِ : [**أَبْشِروا آل « ياسر » فإنَّ مَوْعِدَكُم الجنة**] .

وجاءَهُ « **عمّار** » مقْهُوراً مَنْهوكاً ، يبْكى بدموع النّدم على ما فرَّط فى جَنْبِ الله ورسُوله ، فطيَّب رسُول الله « ﷺ » نَفس « **عمّار** » وسأله : (كيْف تجدُ قلْبك ؟) فأجاب « **عمار** » بأنَّه ما يزال على وفائِهِ لله ورسُولِهِ ..،

وأيْضاً ما تَعَرَّض لهُ « **بلال بن رباح** » ـــ الحبشى ـــ على يَدِ « **أبى جَهْل** » ـــ « **عمرو بن هشام** » و « **أُميّة بن خلف** » ..

فلقد دَخَلَ « **بلال** » فى الإسلام عن طريق « **أبى بكْر** » ـــ رضى الله عنه ، إذ كان له صديقاً حميماً ، فلمّا عَلِمَ بِهِ سيِّده « **أُمية** » ، حَمَلَهُ بالضّرْب والحبْس والتجْويع على تَرْك الإسلام ، والكُفر بـ « **محمد** » ودينه ، فأَبى وآمْتَنَعَ واستمْسك بِحَبْل الله .

فكان « **أُميّة** » يأخذه إلى بطحاء « **مكة** » مقيداً بالسلاسل ، ويَضَعُ على صَدْره الصَخْرة العظيمة ، بعد أن يمدّده على الرمال اللاهية ، ثم ينهال عليْه ضَرْباً هو وزبانيته بالسياط ..، و « **أبو جَهْل** »

(١) نال منه : بلغ منه مقصودهم ومطلوبهم ، وحقق لهم ما طلبوه . وما دام قلبه مطمئناً فلا يؤاخذه الله لأنه مكره على ذلك .

يساعِده فى ابْتكارصنوف التعذيب والإيذاء ..

حتى مرَّ به « أبو بكْر » وهُوَ على تلْك الحال ، فٱشْتراهُ من « أُميَّة » وأَعْتَقه حُرّاً فى سبيل الله .

إلـى الحبشـة ....

إزاء هذه الفتْنة القرشيَّة الجاهلة ، طَلَبَ رسُول الله « ﷺ » من أصْحابِهِ أَنْ يهاجروا بدينهم إلى « الحبشة » ، عند « النجاشّى » الذى سوْف يجدون لديْه الأَمْن والأمان ، خصوصاً وأَنَّ كثيراً منهم قد خشوا على أَنْفُسهم وأهليهم سُوء نوايا « قريش » وبَطْشها .

فهاجَرَ من المسلمين قرابة السَبْعين ، بأَهْليهم ..، كان من بَيْنهم : « عثمان بن عفان » ـــ صِهْر النبىّ « ﷺ » ، الذى تَزوّج من « رُقيّة » ؛ و « الزُّبيْر بن العوّام » ، و « جعفر بن أبى طالبٍ » ، وغيرهم .

وأقاموا هناك فى ضيافةِ « النجاشّى » الذى أَكْرم وفادَتَهُم ، وأَمَّنَهُم ، ولقد حاولت « قريش » إفساد مُقَامهم لدى « النجاشى » ، حين أَرْسَلَتْ « عمرو بن العاص » فى هدايا إلى الملك ، والطّلب إليه أن يُسلِّمَهُم طائفة الهاربين .

ودَسَّ « عمرو » على المسلمين عند « النجاشي » بأَنَّهم يقولُون فى « المسيح » ـــ عليه السلام ـــ قولاً كبيراً .. فلمّا ٱسْتوْضحهم الحقيقة ، تكلَّم بٱسْمهم « جَعْفر بن أَبى طالبٍ » ، فبيَّن « للنجاشّى » الحقيقة ، الناصعة الجليّة ، التى لا تقبل تأويلاً ولا تَزْويرا ، سواء عن الإسلام ودعوته ، أَوْ عمّا يقوله الإسلام عن « عيسى » ـــ عليه السلام .

وارْتَدَّ الوفد « القرشّى » من الحبشة مذموماً مَدْحورا[1] ..

---

(١) مطروداً مُبْعداً .

يقال : دَحَرَه دَحْراً ودُحوراً طرده . أبعده . دفعه فهذا داحر ودَحور وذاك مدحور . المنجد .

إسْلام « عُمَر بن الخطاب » — رضى الله عنه

كان إسلامُ « عُمَر » — رضى الله عنه — فَتْحاً ؛ ولقد سمّاهُ رسُول الله « ﷺ » منذ أسْلَمَ بـ « **الفاروق** » لأن الله تعالى فَرَقَ بِهِ بَيْن الحقّ والباطل .

وقِصّةُ إسلامِهِ جديرة بالرواية ،

لقد كان « **عمر** » شديد الوطْأة على الإسلام والمسلمين ، شديد الأذى لهم ، وفى ذات يوْم ، وبيْنما كان جالساً مع بَعْض سادة « **قُرَيْشٍ** » حوْل « **الكعبة** » يتداولون فى أمْرِ « **محمد** » — ﷺ — ودينه الذى سفّه آلهتهم ، وعابَ عليهم حياتهم ، وفرّق بِهِ مُجْتَمعهم ، هبَّ « **عمر** » من مَجْلِسهِ ، مُنْتوِياً أن يَقْضِى على « **محمد** » ..!!

وغادَرَهم وهو فى أقصى حالات الثوْرة والْغَضَب ، فلقيه فى الطريق شخص من معارفِهِ ، فَسَألَهُ : إلى أيْنَ يا بن الخطاب ؟ فأخبَرَهُ بأنه قاصِدٌ إلى « **محمد** » لقَتْلِهِ والخلاص منه ، فقال الرَّجُل : عليْك بأمْر أهْلِكَ أوّلاً ، فقال « **عمر** » وقد اشْتَدَّ هياجُهُ : مَنْ ؟؟ قال الرَّجُل : أُخْتُكَ « **فاطمة** » وزوجها « **سعيد بن زيْد** » ..

فَغَيَّر « **عمر** » طريقه ، إلى دار أُخْته ، وهو يُرْغى ويُزبد ، فلما وصَلَ بابَ الدار سَمِعَ هَينَمَةً ..، فوقف فى مكانِهِ يَسْمَع ..

وكان فى الداخل « **خباب بن الأرتّ** » ، يَقْرأُ على « **فاطمة** » وزوجها « **سعيد** » ما نزل من الوحْى حديثاً، وهُوَ صَدْرُ سُورةِ « **طه** » .

وحين قَرَع « **عمر** » الباب ، وعلا صَوْتُهُ ، اخْتبأ « **خبّابُ** » داخل الدار ، ودَخَلَ « **عمر** » ، فى هياجٍ وثَوْرة ، وتَجادَلَ مع أُخْتِهِ وصِهرِهِ ، ثم لَطَمَ « **سعيداً** » فأدْمَاهُ فى وَجْهه ، ولمّا قامت

« **فاطمة** » لتحول بين أخيها وزوجها ، دفعها « **عمر** » دَفَعَةً قويّة .. أَلقتها جانباً ..

ثم اسْتفاق إلى نَفسه ، وراجَعَ تَصرُّفَهُ ...، وهدأ قليلاً ، ثم سَأَل : ما هذه الهَيْنَمَةُ[1] .. كُنْتُ أَسْمَع ...

وما زال بهما حتى أَخْرَجا الصحيفة ...، خصوصاً بعد أَنْ أَبْدى رغْبَتَهُ لهما في الإِسْلام ؛ فلمّا أراد القراءة فيها طَلَبت إِلَيْه أُخته أن يَتطهَّر ....، فَفَعَلَ ...، ثم قَرَأ ..

وهنا شَبَّ نُورُ الإِيمان في قلْب « **عُمَر** » ضياءً وهّاجا ، فَسَأَل « **فاطمة** » بأن تدلّه على مكان اجتماع رسُول الله « ﷺ » بأَصحابِهِ ، فَخَشِيَتْ وتمَنَّعَتْ ، عندئذٍ خَرَج « **خباب** » من داخل الدار ، وقال : لقد سَمِعْتُ رسُول الله « ﷺ » بالأَمْس يَدْعو لك بالهداية والإسلام ، ثم دَلَّه على دار « **الأَرْقَم بن أَبِي الأَرْقم** » .

فقصدها « **عمر** » ، وقَرَعَ الباب ، فقام أَحد الحاضرين يَنْظُر من خلله ، ثم عاد فَزِعاً إلى رسُول الله « ﷺ » ليقول : إنه « **ابن الخطاب** » يا رسُول الله ؟.. فقال « **حمزة بن عبد المطلب** » ــ رضى الله عنه ــ : إن كان جاء يريد خَيْراً فَمَرْحباً بِهِ ، وإن كان جاء يريد شرّاً قتلْناهُ بِسَيْفِهِ .

وفُتِح الباب ، ودَخَلَ « **عُمَر** » ، وتَقَدَّم من رسُول الله « ﷺ » ، فقال « **عليه الصلاة والسلام** » لأصحابِهِ : أَبْشِروا لقد جاءَكم « **عمر** » وغُرَّةُ الإسلام بَيْن عينيْه ؛ وشهِدَ « **عمر** » لله بالوحْدانية ، ولـ « **محمد** » ــ ﷺ ــ بالرسالة .

وبعد أَيام قال « **عمر** » لرسُول الله « ﷺ » : يا رسُول الله ، أَوَلَسْنا بالمسلمين ؟ قال : بلىٰ ، فقال : أَوَلَسْنا على الحق ؟ قال :

---

(١) الهينمة : الصوت الخفى .

بلى ، فقال : فَعلامَ إذاً نتستَّر ونتخفَّى ...!؟

ومُنذُ تِلْكَ اللَّحْظة ، كانَتْ علنيَّة الدّعْوة ..

وخَرَج رسُول الله « ﷺ » بالمسلمين الذين معه فى « **دار الأرقم** » ، فى صَفَّيْنِ على رأْس أَحَدِهما « **حمزة** » وعلى رأْس الآخر « **عمر** ، **إلى طرقات** « **مكة** » ، فى حركةٍ أَشْبَهُ ما تكون بالْعَرْض العسكرى ، وهى إنّما تُنْبىءُ عن معنى الْقُوَّةِ فى مَسيرة الدعْوة إلى الله ..

تَبَّت يدْ « أبى لَهَبٍ » وتَبَّ ..

وأَنزل الله تعالى على رسُولِهِ ، قوْله :

﴿ **فاصدع بما تُؤْمَر وأَعْرِضْ عن المشركين** ﴾ .
﴿ **وأَنْذِرْ عشيرَتَكَ الأَقربين** ﴾ ..

فقام « **عليه الصلاة والسلام** » ذات يَوْم على جَبَلِ « **أبى قُبَيْس** » يُنادى « **قريْشاً** » بأَسماءِ بطُونها ..، وفروعها ..

فاجْتَمَعَ إليه نَفرٌ كثير ، ومن بَيْنِهِم عمَّه « **أبو لَهَبٍ** » ـــ (**عبد العُزّى بن عَبْد المطلب**) ـــ الذى كان من أَكْثر القرشيين عداوة لله ورسُوله .

فلمّا اجتمع إليه الناس قال :

« **أَرَأَيْتُمْ لو أَنبأْتُكُم أَنَّ وراء هذا الجبل عدوّاً يتربَّصُ بكم ، أَمُصَدِّقِيَّ أنتم ؟؟** » فقالوا : ما عَهدنا فيك إلا الصّدْق والأَمانة .

فقال : « **إنى نذيرٌ لكم بَيْن يَدَىْ عذاب شديد ...** » .

ثم راح « ﷺ » يدعوهم إلى الله ونبْذِ ما هُمْ عليه من ضلالة

وجَهْلٍ وسَفَه ، ويُحذِّرهم المَثُلات[1] التى خَلَتْ قَبلِهِم فى الْأُمَم الماضية ، أمثال « عادٍ » و « ثمود » وغَيْرهم ..

وآنتَفَض « أبو لَهَبٍ » من بَيْن القَوْم ليقول : تبّاً[2] لك ..، أَلِهذا جَمَعْتَنا ..

فَأَنْزَل الله تعالى قوله : ﴿ تَبَّتْ يدا أبى لَهَب وتبّ * ما أَغْنى عَنْه مالُه وما كَسَب * سَيَصْلَى ناراً ذات لَهَبٍ * وآمرأتُه حمّالة الْحَطَب * فى جيدها حَبْلٌ مِن مَسَدٍ ﴾ .

و[اللهِ يا عَـمّ ...] :

وسَمِعَ المهاجرون إلى « الحبشة » بإسْلام « عُمَر » فأَسْرَعَ بعْضُهم بالعوْدة إلى « مكة » ظَنّاً مِنْهم بِتَبَدُّل الحال نحو الأَفضل ، ومَكَثَ « جَعْفر بن أبى طالبٍ » مع طائفةٍ معه فى أرضْ « الحبشة » .

أما العائدُون فقد وجدوا طُغْيان « قريش » قد عمَّ وطمى ، وآزداد فجوراً وأذى ، وأنها ما تزال فى نُفُورها عن الإسلام فى جُمُوحٍ وعُتُوّ .

لكنَّ صلابة الإيمان فى نفوسهم كانَتْ أَقْوَى من آستبْدادِ « قريش » وغَطْرستها ، ورأوا من الرَّسُولِ القائد « ﷺ » ما شدَّ أَزْرهم ، وقوى عزيمتهم .

إزاء هذا الموقف الصَّلْب الذى واجَهَتْهُ « قريش » من المسلمين ، تشاوَرَتْ فيما بيْنها ، ثم شَكَّلَتْ وَفْداً لمقابلة« أبى طالب » ومحادثتِهِ ، لعلَّه يُقْنع ابن أَخيه ، ويصرِفُهُ عن دعْوتِهِ ، فَتَعُود لُحْمَةُ[3] التماسُك إلى

(١)المَثُلة : ما أصاب القرون الماضية من العذاب ، وهى عِبرٌ يُعْتبرُ بها والجمع مَثُلات . المنجد .

(٢) تبّاً : أى خُسْراناً وهلاكاً

(٣) اللُّحمة : القرابة ، والنسيج العرضى أما الطولى فهو السُّدى . ونقول عن تماسك الثوب سداه ولحمته .

« **قريشٍ** » بعد أن هزّتها دَعوتُهُ ، وزلْزَل كيانها دينُه ..

وعرضوا على « **أبى طالب** » عروضاً مِنْها : إن كان « **محمد** » يُريدُ مُلْكاً وسُلْطاناً فإننا نُمَلِّكُهُ عَلْينا ، وإن كان يريدُ مالاً مَنحْناهُ ما يُريدُ من كريم أمْوالنا حتى يكون أغنى الناس ، أما إن كان الذى يأتيه[1] رئىٌّ من الجِنّ ، فإننا نُجنّد لهُ الكُهّان والعرافين لِيُبرْئوه مما هُوَ فيه ... ثم آنْصَرفوا ..

وعَرَضَ « **أبو طالبٍ** » على ابن أُخيهِ رسُولَ الله « ﷺ » كلَّ ما قدَّمت « **قريش** » ، فقال رسُولُ الله « ﷺ » :

« **واللهِ يا عَمّ : لوْ وضَعُوا الشّمْس فى يمينى ، والْقَمَر فى يسارى على أنْ أتْرُكَ هذا الأمْر ، ماَ تركْتُه ... حتى يُظْهِره الله ، أو أَهْلِك دُونه** » .

وحاول « **أبو طالب** » أنْ يُثنى رسُول الله « ﷺ » عن عَزْمه الشديد هذا ، فَرَدَّ رسُولُ « ﷺ » ردّاً فيه استثارةٌ لعاطِفَةِ الْعَمّ ، ثم قام من المجلس يريدُ الانْصراف ، فلمّا قارَبَ الباب ، ناداهُ « **أبو طالبٍ** » وقد تَرَقْرق الدَّمعُ فى عينيه ، وقال : اذْهَبْ آبن أُخى وآدْع بما شِئْتَ ، فوالله لن أُسْلِمَكَ أبداً ..

فكانَتْ هذه الكلماتُ عزاءً لِقَلْب الرسُول الكريم ، صلوات الله وسلامُهُ عليه .

ولقد كان « **أبو طالب** » ما يزال على شِرْكِهِ ، ونَهْجِهِ الوثنىّ فى تقديس الْأَوْثان وعبادة الأَصنام .

وكم حاوَلَ النبىُّ « **أكْثَر من مَرَّةٍ أن يكْسب** « **أبا طالب** » فى صَفّ المؤمنين ، ولكن من غَيْر جَدْوى ، وكان حافزُه ــ عليه السلام ــ فى ذلك حُبُّهُ لِعَمِّه الذى هو بمثابةِ أبيه .

---

(١) أى نوخى .

وأنْزَلَ اللهُ تعالى فى ذلك قُرْآناً يُتْلى : ﴿ **إنّك لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكن اللهَ يَهْدِي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[1] .

[حصار الشِّعْب ..]

ولقد اتّبَعَتْ « **قُرَيْش** » فى محاربة الدَّعوة أكْثر من أُسْلُوب ، ونَهَجَتْ أكْثَرَ من طريق ، عَذَّبَتْ واضطهَدَتْ وآذَتْ وفَتَنَتْ .. وأغرتْ ..، وكل ذلك لم يُؤَدّ إلا إلى مزيدٍ من الإيمان ، ومزيدٍ من المؤمنين ..

وها هُوَ ذِهنُها يتفتّقُ عن أُسْلُوب جديدة إذ قَرَّ رأى أبالِسَةِ الشرك ، وعلى رأسهم « **أبو جهل** » أنْ يَكتُبُوا صحيفةً ، يُوَقعُون عليها جميعاً ، ويوثّقونها فى تعليقها داخل جُدْران « **الكعبة** » بمقاطعة المسلمين و « **بنى هاشم** » ، مقاطعةً كُلِّية ، لا بَيْع ولا شراء ...، لا زواج ولا تزاوج ، لا تعاوُن ولا تعامُل ..

وكان المقصود من ذلك هو التّضْييق ، والتّهْجير ، والتَقلُّص ، والفناء ..، أو الإنابة والرُّجُوع ..!!

واضطُرَّ المسلمون ، ومَعَهُم « **بنو هاشم** » إلى الخروج من « **مكة** » والإقامة فى شِعْب[2] من شعابها يُسمّى : « **شِعْب أبى طالب** » .

وهناك عانى المسلمون ، ومن معهم ، معانة شديدة ، وقاسُوا من الضّنْك والجوع ألْواناً ، وبَذَل القادرون منهم جُلّ أمْوالهم ، حتى أنفقتْ « **خديجة** » ــ رضى الله عَنْها ــ كلّ مالها ..

وتفشَتْ فى بعضهم الأمْراض ، وأشرف بعضهم على الهلاك ..

بنى العزيز :

ليْس فى الأمْر أدْنى مُبالغة ، ولا تهْويل ..، ولعلّ الواقع التاريخى

(١) القصص : ٥٦ .

(٢) الشِّعْب : هو الطريق الضيّق بيْن جبليْن .

كان أقسى وأشَدَّ من ذلك ، وأصْعب ..

لكنهم صمدوا ، وصَبَرُوا ، وما تراجَعَ واحدٌ منهم عن يقينه ، وما آرْتَّد عن دينِهِ ، ولقد كان لهم فى رسُول الله « ﷺ » أُسْوة حسنة .

ودام أَمَدُ الحصار ثلاثة أَعْوام !!!

ثم قام نَفَرٌ من رجالات « **قريش** » البارزين ، ممَّنْ تَرْبطُهُم ببعض « **بنى هاشم** » آصِرَة[1] القرْبى ، أَوْ مِمَّنْ أَبَتْ حميَّته وأَنَفَتُهُ هذه السُّبَّة فى جبين « **قريش** »...، قامُوا بِنَفْضِ أَيْديهم مِمّا فى الصحيفة ، وأَعْلَنُوا ذلك على الملأ ..، وفى ندوة « **قريش** » ، فأَسْقط فى يد الآخرين ، فلمّا قامُوا إلى الصحيفة يَسْتخرجونها من جَوْف « **الكعبة** » ، وَجَدوها قد أَكَلَتْها الْأَرَضة[2] ، ولم يَبْق منها سوى طرف بسيط عليه عبارة : [بآسْمِكَ اللّهُمَّ] ..

وآنْفَرجتِ الْأَزمة ، أزمة الحصار ، وعاد المسلمون « **وبنو هاشم** » إلى « **مكة** » ..، ولكن « **قُرَيْشاً** » ظلَّتْ على موقفها الصارم الشديد فى محاربة الإسلام والمسلمين .

[عامُ الْحُزْن ...]

وقعت « **خديجة** » ــ رضى الله عنها ــ فريسةً للْمَرضِ منذ أن كانَتْ في الشِّعْب ، واشْتَدَّ عليها بَعْد الرجوع إلى دارها فى « **مكة** » ؛ ولقد كان حُزْنُ رسُول الله « ﷺ » علي ماأَلَمَّ بالزَّوْجَةِ الكريمة الوفية ، شديداً ...، كما كان جَزَعُ البناتِ علَيْها عظيماً ، فَهُنَّ فلذاتُ الْأَكْباد ، يَقُمْنَ على خِدْمتها ويُمَرِّضْنها ، ويَسْعَيْن إلى تخفيف ما بها ، وفى عيونهن عبراتٌ تجُول فى مآقيهنَّ .

---

(١) آصرة : رابطة والجمع أواصر .

(٢) الْأَرَضَة : الْعِثَّة ، وهى دُويباتٌ صغيرة تأكُل الورق والملابس وغيرها .

كانت « **زَيْنب** » — رضى الله عنها — كُبْرى البنات ، وأكْثَرُ بناتها شَبَهاً بها ، كما كانت قد تزوَّجتْ من « **أبى العاص بن الربيع** » ؛ فهى مُوزَّعةَ المسؤوليّة بَيْن الزوجيَّة وبَيْن الواجب المقدّس نَحْوَ الأُمّ الفاضلة ..

وكذلك « **رُقَيَّة** » — رضى الله عنها — زَوْجَةُ « **عثمان بن عفان** » — رضى الله عنه ، تلازم ما استطاعَتْ مَنْزِل أبيها ، وتُشْرِفُ مع أخواتها على رعاية الأُمّ الحنون والعناية بها .

أما « **أم كُلْثُوم** » و « **فاطمة** » — رضى الله عَنْهُنَّ — فكُنَّ بالْفِعْل هُنَّ ربّاتُ بيْتِ النُّبوَّة فى تلْك الآونة ، يدبِّرنْ شؤونَهُ ويُراعين أُمُورَهُ ، ويُشَكِّلْن مِحْوَرَه الذى تَدُور عليه عَجَلةُ الحياة فى خِدْمةٍ وعَمَلٍ وتصْريف .

حتّى فاضَتِ الروح الطاهرة إلى بارئها ، وخيَّمَ الحزْن الثَّقيل على جَوّ البيْت ؛ وتَركَ ذلك فى نَفْسِ رسُول الله « ﷺ » جرْحاً عميقاً ، فهُوَ لا يَفْتأ يَذكُرُ القلْب الكبير ، والوجْه المنير ، والْيَدَ الحانية ؛ فيجد لكل هذا غُصَّةً فى أعماقِهِ ، تَظْفُرُ عَبْرةً حرّى من عينيْه الشريفتيْن .

وها هوَ « **أبو طالب** » — أيضاً — شَيْخُ « **بنى هاشم** » تَتَقَدَّم به السنّ ، وتُقْعِده الشيْخوخةُ عن الحركة ، ويَدِب المرض الشديد فى أنْحاء جِسْمه ..

لقد كان بالنِّسْبةِ إلى رسُول الله « ﷺ » الأب الراعى ، فى طفولتِهِ وشبابِهِ ورجولته ، قَبْلِ البعْثةِ وبعدها ، على مدى ما يَقْرب من خَمْسين سنة ، لم يتخَلَّ أثْناءها عن الحماية والمؤازرة ..

ها هُوَ طريح الفراش ، يُعانى سكرات المَوْت ..

وهاهُوَ رسُولُ « ﷺ » عنْد رَأْسِهِ ، فى لَهْفَةٍ وضراعة ، يراجعه

فى حَشْرَجَةِ المَوْت ، ليَقُول كلمة الإيمان ..، علَّها تكُون له شفيعاً عند الله !!

لكن ... غلبتْهُ قَبْضَةُ الروح ؛ فكان هَمُّ رسُول الله « ﷺ » بالنّسْبَة إلى « **أبى طالبٍ** » مُضاعفاً ، لفقْدِه إياه .. ومن غَيْر أن يُسْلم .

إلى « الطائف » ..

وَتَمَادَتْ « **قُرَيْش** » فى طُغْيانها واستبْدادها وجَبروتها ، وتَسَلُّطها ...! كَما أمْعَنتْ فى إيذاء المسلمين ، من المستضْعفين وغير المستضعفين ، ولم تُراعِ إلاًّ[1] ولا ذِمّة ، حتى آجْترأ بَعْض سُفهائها ورؤوس الجْهل فيها على النّيْل من رسول الله « ﷺ » ذات يَوْم وهُوَ يُصلّى عند « **الكعْبة** » ، وآذوه ، وتَدَخَّلَ « **أبُو بكْر** » ـــ رضى الله عنه ـــ ليُزيح عن كاهل النبىّ « ﷺ » شِدَّة وَطْأتهم ، قائلاً وهو يشْرق بالدّمْع : أتَقْتُلون رجُلاً أن يَقُولَ رَبِّىَ الله !!!

وَيئسَ رسُول الله « ﷺ » من صلاح أمْر « **قريش** » وهدايتها ، وآستوائها على الصِّراط المستقيم ، فَفَكّر فى « **الطائف** » وأهْلها ، لعلّ الله تعالى يَشْرح صدورهم للإسلام ، فَيَنْتظموا فى سلك الإيمان ، ويَفُوزوا بسعادة الدارين : الدُّنيا والآخرة .

فَقصَدَهم وحيداً ، لَيْس معه من رفيق ولا صاحب ولا أنيسٍ ، إلا الله تعالى ، يَحْفظه ويكْلَؤُه ...

والرَّحْلةُ إلى « **الطائف** » لَيْسَتْ بالأمْرِ الهيِّن ، فهى على قُرْبها من « **مكة** » بالنِّسْبةِ إلى غَيْرها من الْمُدُن ، إلاّ أنّها صَعْبَةَ المسالك ، شاقّة الدروب ، قائمة على رؤوس الجبال ..

ولكن يَهُون كُلُّ صَعْبٍ فى سبيل الله ، أوَ لَيْس « **عليه الصلاة**

---

(١) الإلّ : العهد أو الحِلْف أو الجوار .

والسلام » من أُولى الْعَزْم مِن الرُّسُل !!و بل سيّدهم وخاتمهم ، (صلوت الله وسلامه عليهم) أجمعين .

لكن أهْل « **الطائف** » ، مُمثّلين بقياداتهم وزعاماتهم ردُّوه « **عليه الصلاة والسلام** » أقْبَحَ ردٍّ وأسْوأهُ ، ثم إنّهم أغْروا بِهِ صبْيانَهُم وسُفَهاءَهم وجُهَّالهم فَقَذَفُوهُ بالحجارةِ حتّى أدْموا عَقبَيْهِ الشّريفتين ..

فعاد أدْراجَهُ من حَيْثُ أَتى ..!

ثم فاضَتْ نَفْسُهُ الشريفَة بهذا الدُّعاءِ الخالص ، يَتَوَجَّهُ بِهِ إلى البارى عَزّ وجَلَ : « **اللهُمَّ : إلَيْك أَشْكو ضَعْف قُوَّتى وقِلَّة حيلتى وهَوانى على الناس ، يا أرْحَم الراحمين ، أنْتَ ربُّ المسْتَضْعفين ، وأَنْتَ رَبّى ، إلى مَنْ تَكِلُنى ، إلى بعيدٍ يَتجهَّمُنى ، أَمْ عدوّ ملَّكْتَهُ أمْرى ؟! إنْ لم يكُنْ بِكَ غَضَبٌ علىَّ فلا أُبالى ، ولكنَّ عافيَتَكَ أوْسَعُ لى .**

أعُوذُ بنورِ وَجْهكَ الذى أَشْرقتْ له الظلمات ، وصَلُح عَلَيْه أَمْرُ الدُّنْيا والآخرة ، من أن ينزل بِى غضبك أَوْ يَحِلَّ علىَّ سَخطُك ، لَكَ العُتْبى حتى تَرْضى ، ولا حَوْل ولا قُوَّة إلاّ بك » .

وَجَلَس « **عليه الصلاة والسلام** » فى ظِلِّ شجرةٍ ليسْتريح قليلاً ، ويَسْترِدَّ أنْفاسه ، فرآهُ غلامٌ نَصْرانىٌّ يُدْعى « **عدّاس** » ، يَعْمل مُزارعاً فى أَحَد البساتين ، فَتَناول قِطْفاً من عِنَبٍ حَمَله إلى رسُول الله « ﷺ » ، فشكره عليه ، وحين مدَّ يَدَه ليأكُلَ وسَمّى الله تعالى ، فَتَعجّب « **عداس** » من ذلك ، لِأَنّ التَّسْمية بآسْم الله لَيْسَتْ من عاداتِ أهْل البلاد الْوَثنيّين ..

وسأله رسُولُ الله « ﷺ » عن بَلَدِه ، فقال : من « **نَيْنوى** »[(١)] ..، قال : مِنْ بَلَدِ الرجُل الصالح « **يونس بن متّى** » ؟ قال « **عدّاس** » : ومَنْ أدْراك ما : « **يُونس بن متى** » ؟

(١) نينوى : بلدٌ فى « **العراق** » .

فقال « **عليه الصلاة والسلام** » : أنا نبىّ وهُو نبىّ ..، فآنْكَبَّ « **عدّاس** » على أطْرافِ رسُول الله « ﷺ » يُقبِّلها ، بآحترام وحنانٍ ولَهْفة .

[« الإسْراءُ » و « المعْراج »]

بَعْدَ عَوْدتِهِ « ﷺ » من رِحْلةِ « **الطائف** » ، وقد لَقِىَ فيها المشقَّة والهوان ، وبَعْد أنْ توفَّتْ « **خديجة** » ولحق بها « **أبو طالب** » واشْتَدَّ الأذى من « **قريش** » الكافرة النّافِرَةً ، وقد اجْتمعت الهمُوم والأحزان على قلْب رسول الله « ﷺ » ..، كان لابُدَّ من المواساة والتّسْرية ، ودُفْعَةٍ جديدةٍ من العناية الربّانيّة تَشحَنُ قلْب النبى « ﷺ » بطاقةٍ من العَزْم والإصْرار ، والتّخفيف عنه ، لمواصلة المسيرة ..

ففى ليلة السابع والعشرين من شَهْر « **رَجَبٍ** » ، من تلْك السَّنة ، وبَيْنما كان رسُول الله « ﷺ » نائماً فى دار آبْنَةِ عمه « **أم هانىء** » — بنت « **أبى طالب** » ، جاءَه « **جبريل** » « **عليه السلام** » بالْبُراق ، وهُوَ دابَّة أشْبَهُ بالْفَرَس ، لها جناحان ، سريع الْعَدْوِ كالْبَرْق ، يَضعَ حافِره عِنْد مُنْتهى نَظَره ، فأرْكَبَهُ عليه ، ثم مضى بِهِ إلى « **بَيْتِ المقدس** » من أرض فلسطين ، حَيْث المسجد الأقْصى الذى بارَك الله حَوْله ، طاوياً مسافات الكوْن والزَّمن فى لحظاتٍ ...

ومن هُناك عُرِج بِهِ إلى السمّاوات الْعُلى ، وكان يمرّ « **عليه الصلاة والسلام** » بإخوانِهِ من الأنبياء ، فى كُلِّ سماء ..

حتى دَنا فَتَدلى ، فكان قاب قَوْسَين أو أدْنى من العَرْش ، وسَبَحَ « **عليه الصلاة والسلام** » فى بَحْر لُجِّىّ من الأنوار القدْسيّة ، فى نعيم ما بَعْدَه نعيم ، ورأى من آياتِ ربّه الكُبْرى ، ما بَهَرَ العيْن من غَيْر زَيْغٍ ، وثَبَّتَ الفؤاد على اليقين ، ومدَّه بطاقةٍ من الفيْض الربّانى لا تَنْفد ...

وهُناك فُرِضَتِ الصلاة ...، فى السَّماء !!!،

[الصِّدِّيق — رضى الله عنه —]

وحدَّث النبىُّ « ﷺ » ٱبنَةَ عمه « **أمَّ هانىٍ** » بما رأى وبما حدَث ، وقال : إنى ذاهبٌ إلى الناس فَمُحَدِّثُهم بذلك ، فخافَتْ عليه تكْذيب القوْم له ، ورَجَتْهُ أَنْ لا يَفعلَ ضَنّاً بِهِ ، فلم يَسْتمعْ لها .

ثم أتى ظِلَّ « **الكعبة** » وجَلَسَ إلى الناس ، وراح يُحَدِّثُهُم ...، وظَنَّ أكثرُهُم أنَّه قد أصابَهُ مسٌّ ، حتى إن كثيرين من المسلمين المؤمنين ، اهْتَزُّوا من أعماقِهِم ، وراوَدَهُم الشّكُّ فيما يقول ؛ ناهيك[1] بالمشركين الذين ٱتّخذوا من الحديث العجيب مادَّة للسُّخْرية والاسْتِهْزاء ...

وأسْرَع أحدُ الحاضرين من المسلمين يَبْحث عن « **أبى بكرْ** » — رضى الله عنه — ليكون بجانب النبىِّ « ﷺ » فى مِثْل هذا الموْقف ، حتى وَجَدَه وأَخْبَرَه بما يُجْرى ، فبادَرَ « **أبو بكرٍ** » — رضى الله عَنْه — إلى مَجْمع الناس ..

وكان وُصُولُهُ فى اللَّحْظةِ التى سَأَل فيها بَعْضُ الحاضرين من المشركين رسُولَ الله « ﷺ » أَنْ يَصِفَ لهم « **بَيْت المقدس** » ، على سبيل التَّعْجيز ...

فَجَلاَّها الله تعالى لِنبيِّهِ « **عليه السلام** » ، وكأنها صَفْحَةٌمَفتُوحة أمامه ، فَأَخَذ فى وَصْفِها ، جُزْءاً جُزْءاً ...

وكان كُلَّما وَصَف ...، قال له « **أبو بكْر** » : صَدَقْتَ يا رسُول الله ، ذلكَ لأنَّ « **أبا بكْر** » كان يَعْرفها من قَبْل حق المعرِفة ؛ ومن هُنا كانت — يا بُنَىَّ العزيز — تَسْمِيَةُ « **أبى بَكْر** » بـ « **الصِّدِّيق** » .

---

(١) ناهيك : كلمة تعجب واستعظام . وهى كما يقال حسبك .

ولقد كان اسمه فى الجاهلّية « **عَبْد الكعْبة** » ، فَسمَّاه رسُول الله « ﷺ » : « **عَبْد الله** » ...

وسُئِلَ « **أبو بَكْر** » ـــ رضى الله عنه ـــ : كيْف تُصَدِّقُهُ فيما يَقُول ؟ فأَجاب : إنى أُصَدِّقُهُ فيما هُوَ أَبْعَدُ من ذلك وأَعْظم ، إنىّ أُصَدِّقُهُ بِخَبرِ السماء (الوحْى) ، يأْتيه فى ساعةٍ من لَيْلٍ أَوْ نهار .

وَلَمْ يكْتِفِ المشكّكونَ بهذه التساؤلات ، فقال قائلُهم : نُريدُ دليلاً آخر ..

فقال « **عليه الصلاة والسلام** » : لقد لقيتُ فى طريق عَوْدتى قافلةً يَتَقدَّمُها جَمَلٌ أَوْرق ، عليه غرارتانِ ، آتية صَوْب « **مكة** » ، يُنْتَظَرُ وصولها مع غروب شَمْس الْغَدِ ، بإِذْنِ الله .

وصَدَق رسُول الله « ﷺ » ، لكن الكافرين ظَلُّوا فى ضلالٍ بعيد ، ﴿ **وما تأتيهم من آية من آيات ربِّهم إلا كانوا عَنْها مُعْرضين** ﴾ .

[« **الْعَقَبةُ[1] الأولى** » ...]

وولّى رسُول الله « ﷺ » وَجْهَهُ شَطْر أَهْلِ المواسم فى الْأَعراب القادمين إلى « **مكة** » ، بعد أن لَجَّتْ « **قريش** » و « **ثقيف** » فى عُتُوِّهما ونُفورهما عن الحقِّ ...

فكان « **عليه الصلاة والسلام** » يلْقى الناس فى رحالِهم ، ومواقع نزولهم وخيامِهم ، فَيَعْرض عليهم دَعْوَته ، ويَشْرَح لهم ، ويقرأ عليهم القُرآن ، ويُبَصِّرهم بواقعِهم ومُستقَبلهم ، وكان عمُّه « **أَبو لَهَبٍ** » يتتبَّع خُطواتِهِ ، فإذا ما حَدَّث قَوْماً ، جاءَهُم « **أَبُولهَبٍ** » يُحذِّرهم مِنْه ، ويَنْعته بنُعُوتٍ دَرَج عليْها أَهْلُ « **مكة** » ، ولم يجدوا فى قامُوسِ

(١) العقبة : إحد شعاب « مكّة » .

مُفترياتِهم على الله ورسولِهِ غَيْرُها ، فتارةً يقول بأنه ساحِر ، وتارة بأنَّه شاعر ، وأُخْرى بأنَّه كاهن ، ورابعة بأنَّه مجنون ...

وكان لِـ « **قريش** » فى نُفوس الْأَعْراب من القبائل أَهْل البوادى ، مكانة كُبْرى ، لأَنها أكبر القبائل ، وأَقْواها ، وأَغْناها ، والقيِّمة على « **الكعْبة** » ؛ فكانُوا يَسْتجيبْون لِـ « **أبى لَهَبٍ** » ويُظاوِعُونَه ..

حتى وقَف رسُولُ الله « ﷺ » عنْد بَعْض أَهْل « **يَثْرب** » ...

وهُنا ــ يا بُنَىّ الْعَزيزْ ــ كان التحوُّل الكبير ، العظيم ، فى مسار الدَّعْوة ، وتاريخ الإِسلام ..

اسْتَمَعُوا إليه ، وأَنْصَتُوا وأَصْغُوا ...، ثم تَشاوَرُوا فيما بيْنهم ، وقال قائلهم : أَتُراهُ النبىّ الذى تُنْذِرُكم بِهِ يَهُود ؟!

ثُمَّ أجمعوا أَمْرَهم على الإِسلام والبيْعة ، فَٱجْتَمَعوا ثانيةً برسُول الله « ﷺ » فى جَوْف اللَّيْل عند « **العقبة** » ، فى سرّيّةٍ وحَذَر ، وبايعُوا ...، وكانوا نَفَراً قلائل .. كُلُهُم من « **الخزرج** » لا يزيدون على سِتّة أَشخاص ، وطلبُوا من رسُول الله « ﷺ » أن يَبْعَثَّ معهم من يَفقِّههم فى دين الله ، فَٱختار « **عليه الصلاة والسلام** » ــ « **مُصْعَبَ بن عُمَيْر** » ــ رضى الله عَنْه ــ ؛ وزَوَّدَهُ بنصائحِه ودُعائِهِ .

[« مُصْعب » فى « المدينة »]

وكان « **مُصْعب بن عُمَيْرٍ** » ــ رضى الله عنه ــ شابّاً فى مُقْتَبَلِ الْعُمْر ، قد صَهَرَتْهُ الدَّعْوة وتمكَّنَتْ من قلْبه وجوارحِهِ ، عاف الدُّنيا[1] وزُخْرفها وزينتها ، وآثَرَ[2] الله ورسُولَهُ على كُلّ ما عداهما ..

وٱسْتطاع « **رضى الله عنه** » بكُلّ ما أُوتى من عُمْق إيمانٍ وسِعَةِ

(١) عافها : لم يقبل عليها ولم يكن لزخرفها وزينتها تأثير عليه .
(٢) آثر : فضّل .

إدْراك ، وحسن حديثٍ أن يُؤَثِّر فى مُجْتَمَع « **المدينة** » تأثيراً بالِغاً ، وأن يُسَطِّر صفحاتٍ من الْفَتحْ الربّانى فى قُلُوب « **الأوْس** » و « **الخزرجَ** » ..

فلمّا عادَ مَعَ المَوْسم التالى إلى « **مكّة** » كان مَعَهُ من رؤوس الناس من أَهْل المدينة ٱثْنانِ وسبعون رجُلاً وآمرأتان ، كُلُّهم على قَلْب رجُلٍ واحد ، قد خالَطَ الإيمان والإسلام دماءَهم ، وجرى فى عُروقهم ، وشَعَّ فى أرْواحهم .

وسَأَلَ النبىُّ « ﷺ » داعِيَتَهُ « **مُصعب بن عُمَيْر** » ، كَيْف خَلَّف « **المدينة** » وراءه ؟ فَأَجاب : لم يَبْق فيها بَيْتٌ إلا وفيه ذكْر اسم « **محمد** » ـ ﷺ ـ .

[**الْعَقَبَةُ الثانية** ...]

ثم ٱجْتَمَعَ النبىُّ « ﷺ » بوفْد « **يثرب** » من « **الْأوْس** » و « **الْخزرج** » ، وحَضَرَ مَعَهُ « **عليه الصلاة والسلام** » عمّه « **العباس** » ، الذى كان لا يزال على شِرْكه ، ولكنّه أَحَبَّ أن يَستَوْثق لِابنْ أخيه من الْقَوْم .

فعاهدوا النبىّ « ﷺ » على نُصْرةِ دينه ومؤازرة دَعْوتِهِ ، والقيام بأمْرِه ، ومحاربة الأحمر والْأسْود فى سبيل ذلك ..؛ ثُمَّ بايَعُوه .

وطَلَبَ إلَيْهم النبىُّ « ﷺ » أَنْ يُخرِجُوا من بينهم نُقَباء[1] عليهم ، فأَخرجوا اثْنَى عشر نقيباً ، تسعة من « **الخزرج** » وثلاثة من « **الْأوْس** » ..

فكانوا طليعة « **الْأنصار** » .

وعادوا إلى « **المدينة** » بانْتظارِ المستجدّاتِ من الْأحْداث .

(١) النقيب : العريف الذى ينوب عن المجموعة .

الْقِسْم الثـانى

[الهجـرة ...]

بني العزيز : هذا المسارُ للدَّعْوة ، كان بتدبير وقَدَرٍ من الله تعالى ، فلقد أَبَتْ « **قريش** » أن تَتشَرَّف بحَمْل الرسالة ، وحَادَتْ فى غلَوائها وجُموحها عن الحقّ ، حتى قَيَّض الله تعالى للإسلام جُنْداً من « **الأنصار** » ، يَحْضنونَهُ ، ويتلبَّسُونَهُ ، ثم يخوضون الميادين كُلّها دفاعاً عنه ، وإعلاءً لرايته .

إذاً ..

لقد أُضْحَتِ المدينة مأْرِزاً[1] للدعْوة ، وملاذاً للحقّ وأَهْلِهِ .. فَأَوْعَزَ النبيُّ « ﷺ » إلى أُصْحابِهِ أَنِ يَبْدأوا الْهِجْرة إليها فى سبيل الله ، فراحوا ينشطون جماعات وفُرادى ، أَكْثَرُهم خفْيَةً وبَعْضُهُم مُتَسَتِّراً باللَّيْل ، أو فى صَمْتٍ وكِتْمان .

غَيْر أَنَّ « **قرَيْشاً** » التى طَغَتْ وأَذَتْ ونَفَرَتْ ، أَحسَّتْ بخطر هذا التحوُّل ، فَعَزَمَتْ على الوقوف فى وَجْهِهِ ، بكُلّ ما أُوتيت من صَلَفٍ وتكبُّرٍ وجبروتٍ .

فَلَقِيَ بَعْضٌ من المهاجرين صنوفاً من الأذى والعذاب ما لايتحمّله بشر ، ولا يطيقه إنسان ، وما يزال إلى يَوْمنا هذا مضرِب مَثَلٍ وعُنْوان إيمانٍ وجهادٍ وجلاد ، لكُل المؤمنين ودُعاة الحقّ .

فَمَثَلاً « **أبو سلمة** » و « **أم سَلَمَةَ** » ـــ رضى الله عنهما ـــ .

أُسْرَة صغيرة من ثلاثة أنفار ، الزوج والزَّوْجة ، والطِّفْل الصغير ، الذى لا يزال فى الحجْر ، تصدّى لهُم عند ضاحية « **مكّة** » رهْط من المشْركين يريدون أن يحولوا بينهم وبَيْن الهجرة إلى « **المدينة** » .

---

(١) مأْرِزاً : مأوى وحِصْناً .

فَمَنَعَ قوم « أم سلمة » ــ « أبا سَلَمَة » ــ من أُخذِها مَعَهُ ، وتركُوهُ وحيداً يَمْضِى ، فى غَيْر زوجةٍ ولا ولد ..، فرَّقوا بَيْنَهُ وبَيْن شريكة حياتِه وفلْذةِ كَبِده .

ثم جاءَ رهْط « أبى سَلَمَة » فنازعُوا القَوْم الآخرين فى شأْنِ الطِّفْل الصَّغير ، وراحوا يتجاذبونَهُ من حجْر أُمّه حتى خَلَعُوا كَتِفه ،....، ثم تركوهُ ....، وعادَتْ « أُمُّ سلمة » بَطفْلها المنكوب إلى « مكة » ، فأَقامَتْ فيها شاكيَةً ممزّقَةَ الجوارح والعواطف ، حتى أَذِن اللهُ تعالى لها بالفَرَج ...

والْفَرَج ــ يابُنَىَّ العزيز ــ كان من دُعاءِ النبىِّ « ﷺ » لكُلّ من احْتُبِسَ ، وعُذِّبَ ، وقُهِرَ ، وافْتُتِن فى دينه ...، وكان يأْتى دائماً !!

ولقد كانَتْ صَورةُ هِجْرةِ سيِّدنا الفاروق ــ « عمر بن الخطّاب » ــ رضى الله عنه ــ آية فى الشجاعة والتّحدّى .

إذ تَوَشَحَ[1] سيفَهُ ، وتنكَب[2] قَوْسه ، وخَرَج إلى فناءِ « الكعبة » ووقف على الملأِ من الناس وقال : من أراد أن يُرْمل[3] زوجته ، أو يُيتِّم ولَدَه فلْيَلْحقنى إلى بَطْن الجبل ...، ثم مضى !!

وذلك بعد أن استأْذَنَ رسُول الله « ﷺ » ، لِأَنّه لم يكُن أحد من المسلمين ليهاجرَ إلا مُسْتأْذِناً ، فيتزَوَّد بِبَركةِ دُعائِهِ « عليه السلام » ، وتلْك ــ ولا شَكَّ ــ أمورٌ تَدْبيريّة وعاها وطَبَّقها الرسُول القائد « صلوات الله وسلامُهُ عليه » .

أمّا « أبو بَكْر الصدِّيق » ــ رضى الله عنه ــ فقد كان يأْتى رسُول الله « ﷺ » ليستأذِنَ فى الهجرة ، فيُؤَجِّله . « عليه السلام » ويؤخره ويقول له : « لا تَعْجَلْ لعلَّ الله يَجْعل لك صاحباً » ؛ حتى

---

(١) توشّح : علّقه بحمّالته على صَدْره كالوِشاح .
(٢) تنكب : جعله فى منكبه ، أى كَتِفِهِ .
(٣) يرمل زوجته : يجعلها « أرمَل » بلا زوج .

هاجَرَ أَكْثَرُ المسلْمين إلى « **المدينة** » ، ولم يَبْق فى « **مكّة** » إلاّ رسُول الله « ﷺ » ومَعَهُ « **أبو بكْر** » ــ رضى الله عنه ــ، و « **علىّ بن أبى طالبٍ** » ــ كرّم الله وجهه ــ، ومعهم نَفرٌ قليل من المستضْعفين ، بأهليهم وذراريهم ؛ مِمَّن حُبِسُوا أو افتتنُوا .

[المؤامــرة ...]

﴿ وإذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذين كَفَروا ليُثْبِتُوك أَوْ يقتُلُوك أو يُخرِجوك * ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكرين ﴾ .

ودارَتْ رؤُوس السّادة من الزُّعماء الْجُهَّال بما يَرَون ويَسْمعُون ، وهَزَّتْهم حَرَكَةُ الْهِجْرة ، فَاجْتمعُوا فى دار النّدْوة[1] يتشاورُون لمواجهة الموقف ، وقَرَّ رأْيهم على أَنَّ « **محمداً** » هُوَ رأْسُ الأَمْر ، فإذا تَمَّ الخلاص مِنْه ارْتاحوا إلى الأبد .

ولكن كيْف يتمّ الخلاص ؟ وعلى أَيّةِ صورة ؟

وبَيْنما هُمْ فى لجاجِهم وتشاوُرِهم رأَوا عند باب دارِ النّدْوة شيخاً واقفاً ، فسَأَلوهُ مَنْ هو وماذا يريد ؟

فقال إنه من « **نجْد** » قد سَمِعَ بمؤْتمرهم ، فجاء إليهم ليُشاركهم الرأْى ، (ــ وكان « **إبليس** » ــ الشيطان ؛ قد تَزَيّا بهذا الشّكْل والمنْظر) ؛ فرَحّبُوا بِهِ ، ودَعَوْهُ إلى الدخولِ والمشاركة .

وقال قائِلٌ منهم : أرى أن تَحْبسُوا « **محمداً** » فى مكانٍ ، وتُقَيّدوه بالحديد ، وتمنعُوا عَنْه الطّعام والشّراب ، حتى يقضْى !!

فقال الشيْخ النّجْدى (**إبليس**) : ما هذا برأْى ، فلا تنسُوا أن جلَّ[2] أَصْحابِهِ قَدْ أَصْبَحُوا فى نجوةٍ من أَيْديكم ، وهُم لن يَتْركوكُم تفعَلُوا هذا ، حتّى يتكاثروا عليْكُم ويُخَلِّصُوهُ من أَيديكم ..!

---

(١) هى دار « **قُصَىّ بن كلاب** » .

(٢) جل : معظم أو الغالبية .

فقال آخر : نَتْرُكُهُ يَمْضى من بَيْننا ، ونَمْنَعُ أَنْفُسنا وبلدنا من شَرِّه وخَطَرِه . فاَعترض الشيْخ النّجْدى وقال : وهذا أَيْضاً ليس برأى ، إذ عليكُم أَنْ لا تَنْسُوا حلاوة حديثه ، وعذوبة لفْظِهِ ، وقوَّة سِحْره فى التأثير على الناس ، فلوْ تركْتُمُوه يَخْرج ، لاستطاع أَنْ يُؤَلب علیْكم الْعَرَب جميعاً ، ويَنْشر دعْوته فى كل مكان .

عندئِذٍ قال « **أبو جَهْل** » :

أَرى أَنْ نُعطى شاباً جلْداً[1] مِنْ كل قبيلةٍ مِنّا سيْفاً قاطعاً ، فَيُحيطوا بـ « **محمد** » ويَضْرِبُوه ضَرْبَةَ رجُلٍ واحد ؛ فَيَتَفَرَّق دمُهُ[2] فى كُلّ القبائل ، ولا يَقْوى « **بنو هاشم** » بعد هذا على مُعاداة كل الناس ، ومحاربتهم .

وعندئذ ؛ قال الشيْخ النّجْدى : هذا هُو الرأْى الصّواب .

[الْهِجْرة النَّبَويَّةُ الشَّريفة ..]

والهجرة النَّبويّة ــ يا بنى العزيز ــ من أَعْظَم أَدْوار مسيرة التاريخ الإسلامى ، ومقْصد من أَهم مقاصده ، وانتقالٌ من دَوْر الجهاد ، فى طوْر الصَّبْرِ وتحمُّل الأذى ، إلى دَوْر الجهاد فى طوْرِ منازعة الأعْداء ومنازلتهم .

وحين أَذِن الله تعالى لرسوله « ﷺ » بالهجرة ، أتى إلى دار « **أبى بكْر** » ــ رضى الله عنه ــ فأَعْلَنَهُ بذلك ، فآشترى « **أبو بكر** » راحلتيْن[3] عَهِدَ بهما إلى موْلاه « **عامر بن فهيرة** » ..

وجرى كُل ذلك الإعداد فى كتمان وسريّةٍ تامّة ..

ولَيْلة الْهِجْرة ، كان فتيان « **قُرَيْشٍ** » قد أُحاطُوا بدار النبىّ

(1) جَلْداً : قوياً .

(2) يعنى : لا يعرف له قاتل معين .

(3) راحلتين : ما يركب عند الرحلة من الجمال ويرتحل عليه المسافر من مكان إلى آخر ــ جملين .. ناقتين .. بعيرين ..

« ﷺ » ، ليفتِكُوا بِهِ عند خروجِهِ من الدار ،

وقد طَلَبَ « **عليه السلام** » من « **علىّ** » ــ الفتى الفدائى الشُّجاع ــ أن يتسجّى[1] فى فراشه ــ ﷺ ــ، ويَلْتَحِفَ بِبُرْدِه لِيُوهِمَ الرُّقباء بأنَّه ما يزال نائماً ؛

ولقد كان هذا التصّرف من رسول الله « ﷺ » ، بالنّسْبة إلى « **علىّ** » ــ كرَّم اللهُ وَجْهه ــ ثقَةً مِنه بِهِ ــ وبكفاءَتِهِ ، ولأنَّه « **عليه السلام** » أراد من « **علىّ** » أنْ يَرُدَّ للناس أماناتهم المودَعة عِندهٌ ــ ﷺ ــ.

ثم خَرَج « **عليه الصلاة والسلام** » من بَيْنهم وهُوَ يَتْلُو قَوْل الله تعالى :

﴿ وجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْديهم سدًّا ومِنْ خَلْفِهِم سدًّا فَأَغْشَيْناهُم فَهُمْ لا يُبْصرون ﴾ ؛ فأضحَوا نياماً وكأنَّهم فى خَدَرٍ[2] .

واجتازهم « **عليه الصلاة والسلام** » فى ثَقَةٍ فائقةٍ بالله عَزّ وجَلّ ، آمناً مُطْمئناً ، حتى بَلَغَ دار « **أبى بكْر** » ؛ ثم خَرَجا سويًّا من بابٍ خَلْفى ، واّتجها جنوباً من « **مكّة** » ، بَدَلاً من الشمال الذى هَوَ الطريق إلى « **المدينة** » . حتى بلغا غار « **ثَوْرٍ** » ..

وحين أراد رسُول الله « ﷺ » أن يَدْخل الغار ، أَبى عليه « **أبو بكْر** » إلاّ أن يَدْخُلَ قَبْلَه زيادةً فى الاطمئْنان ، وحِرْصاً على سلامة الرسُول الكريم من أذى الهوام والسِّباعِ وغير ذلك ..

واَسْتَعان الرُّقباءُ القرشيُّون المخدّرون بخَدَر الضلالة والجهْل ، ثم اقْتَحمُوا الدار شاهرين السُّيوف ، حتى بَلَغُوا الفراش وتَحلَّقُوا حوْله ، وفوجِئُوا بـ « **علىّ** » ــ كرَّم اللهُ وَجْهَهُ ــ فى الفراش ...

(١) يتسجى : ينام ويتغطى .

(٢) مخدرين : أو تناولو مخدراً ، (يس ٩) .

فأُسْقِطَ فى أَيْديهم ، وآنطَلَقُوا مع آخرين ، على جيادهم[1] يتتبعونَ الْأَثَر ، حتى بَلَغُوا سَطْحَ غار « **ثَوْر** » ....، الذى تَمطّى مَدْخَلَهُ نسيج عنكبوتٍ ، ويمامتانِ بَرِّيَتانِ على غُصْنِ شجرةٍ ، قد باضتا .

وسَمِعَ « **أبو بكْر** » ــ رضى الله عنه ــ صَوْت وقْع حوافر الْخَيْل ، فقال : يا رسُول الله ... لو رَفَعَ أحدُهُم قَدَمه لرآنا ...

فقال « **عليه الصلاة والسلام** » :

ــ يا « أبا بكر » لاتَحْزَن ... ما ظَنُّك بآثْنَيْن اللهُ ثالثهما !؟

وفى ذلك أَنْزَلَ الله تعالى قوله الشريف :

﴿ ثانى آثْنَيْن إذْ هُما فى الْغارِ إذْ يَقُول لصاحِبِهِ لا تحْزن إنّ الله معنا فَأَنْزَل الله سكينته عليه وأَيَّدَهُ بجنودٍ لم تَروْها وجَعَل كَلِمَةَ الذين كفروا السُّفْلى وكلِمَةُ الله هى الْعُلْيا والله عزيزٌ حكيم ﴾[2] .

وَمكث فى الْغارِ ثلاثة أيام بلياليها ، كان « **عَبْد الله بن أبى بكْر** »يُزوّدهما خلالها بأخبار « **قريش** » وتحرَّكاتها ، ويأْتيهما « **عامر ابن فهيرة** » ، مولى « **أبى بكر** » بأَغنامه فيُعفّى على آثار أقدام « **عبد الله** » ، فيحْلبانِ ويَشربان ...

ثم جاءَتْهُما « **أسماءُ بنْتُ أبى بكْر** » ــ رضى الله عنها ــ بزادِ السَّفَر للرَّحْلةِ المباركة ، فلما أرادت ربْط المزادة ، نَزَعَتْ نطاقها وشَقّتْهُ نصْفيْن ، فربطت بالنُّصْف الزاد ، وتَمَنْطَقَتْ بالآخر ، فَسُمّيَتْ : « **ذات النطاقَيْن** » .

وجاءَهما « **عامر بن فهيرة** » بالراحلتَيْن اللتيْن اشتراهُما « **أبو بكْر** » ــ رضى الله عنه ــ، ومَعَهُ الدليل « **عبد الله أُرَقط** »[3] .

---

(١) جيادهم : جمع جواد . الفرس .

(٢) التوبة : ٤٠

(٣) وفى قول : « ابن أُرَيْقط » .

[الرَّكْبُ الميْمُون ...]

وانطَلَقَ مَوْكب رسُول الله « ﷺ » فى أعظم رحْلةٍ عرفها تاريخ البشرية ، مَحْفوفاً بعناية الله سبحانَهُ وتعالى ، تكلؤه الملائكة وتحرسُه .

وبعد أن أعْيَتْ[1] « قريشاً » الْجبَل ، وفاتَ منها الْغَرَض ، رَصَدَتْ مائة ناقة جائزة لمن يأتيها بـ « محمد » ـــ ﷺ ـــ حيّاً أوْ مَيْتاً ..

فَطِمِع فى هذا صُعْلوك من صعاليكها يُدْعى « سُراقة بن مالك بن جعْشم » ، فَخَرَج على فَرسِهِ يتَتَبَّعُ أَثَر الركْب ، حتى إذا قارَبَهُ ، لَكزَ فَرَسَهُ ليُسرع بِهِ ، فساخَتْ قوائمه فى الرمّال ، فتشاءَم من هذا ، ثم قام الْفَرس والفارس ، وعاد يَتْبع الركْب ، فلما قاربَهُ أَيْضاً ، ساخَتْ قوائمه الفرس فى الرمال ثانية ، فتشاءَم « سُراقة » من ذلك ، ثم قام من موْقِعه ومضى ، فلمّا قَارَبَهم سَقَطَ هو والفرس أيضاً ...، وأدرك أن النبىَّ « ﷺ » ممنوع[2] .

عندئذٍ ناداهم ، فتوقّفوا عن المسير ، وسَأَلُوهُ عن مُبْتغاهُ ، فَأَخْبَرهُم أنَّه يُريدُ الأَمان ، فَأَمَرَ النبىُّ « ﷺ » أَنْ يكْتُبَ له أمان ، فلم يُوجدْ سوى عَظْم ، فكَتَب عليه . وأُعْطى لِـ « سُراقة » الذى عاد إلى « مكّة » ، وضَلَّل « قُرَيْشاً » عن اللحوق برسُولِ الله « ﷺ » وصَحْبِهِ .

[فى خَيْمَةِ « أُمّ مَعْبد » ...]

كان الطريق طويلاً شاقاً ، والشمس حارَّةً لاهبة ، ولظى الرِّمال الساخنة يشوى الحجارةَ الصمّاء ...

ولاحت للرّكب عن بُعْدٍ خَيمة ، فاقْتربوا مِنها ، فإذا عجوزٌ تقف ببابها ، فَسَأَلوها عن صاحِبِ الخَيْمة ، فقالت إنه خَرَج فى شويْهات[3]

(١) عجزت بكل حيلها عن أن توجد حلاً .

(٢) محمّى من ربه فهو فى منعة وحصانة .

(٣) أغنام .. ويقال للواحدة « شاة » والجمع شياه فإذا كانت مجموعة قليلة صغيرة قلنا « شويهات » .

له يَرْعاهُنَّ ، فطلبُوا إلَيْها أن تُطْعِمَهُم ، فقالتْ ما فى الخَيْمة من طعام ....، ثم طَلَبُوا الشراب ، فقالت إنه ليْس لديْهم شىء ، سوى شاةٍ هزيلة أقْعَدَها الضّعْف عن مُواكَبَةِ[1] رفاقها ، فقام رسُول الله « ﷺ » فَمسحَ ضَرْع الشاة ثم حَلبها ، فَدَرَّتْ إدْراراً عظيماً جعل صاحبة الخيمة « **أم معْبد** » تقف مَذهُولةً ....، وشرب الجميع حتى آرْتووا ..

ولاحَظَتْ « **أم مَعبد** » ملاحظاتٍ كثيرة ، رَسَخَتْ فى ذِهْنها وتَصوُّرها عن رسُول الله « ﷺ » ، وتعامله مع أصحابه ، وكذلك معاملتهم له ، كما انطبع فى مَخيلّتها صوتُهُ « **عليه الصلاة والسلام** » .

ثم غادروها شاكرين .

فلما حَضَرَ زَوْجُها وقصَّت عليه الْقصص ، وما رَأَتْ من الْعجَب العُجاب ، وَوَصَفَتْ لهُ رسُول الله « ﷺ » وصْفاً دقيقاً ، ما يزال محفوظاً عن لسانها فى بُطونِ كُتُب السيرة ؛ قال زَوْجها : إنى لأظُنه صاحب قريْشٍ الذى تَبْحَثُ عنه .

[فى « قُباء » ..]

وتطايرت الْأنباءُ بخروج رسُول الله « ﷺ » من « **مكّة** » ، فكان المسلمون ، فى « **المدينة** » ، أنصاراً ومهاجرين يترقّبُونَ وُصُوله بيْن يَوْم ويَوْم ، فكانوا يخرجُون إلى ضاحية « **المدينة** » من ناحية « **قُباء** » ، عند « **ثنيَّة الوداع** » ينتظرون .

فلما كان يوْم وُصُولِهِ « **عليه الصلاة والسلام** » ، وقد آنصَرَف الناسُ من موْقع انتظارهم ....، إذا بيهوديّ فى نَخْلةٍ لهُ يرى الرَّكْب القادم ، فَيصْرُخ بـ « **الأوْس** » و « **الْخزرج** » أنْ هذا جدّكم[2] قد وصَلَ ...

(١) مسايرة ومصاحبة .

(٢) جَدّكم : يعنى صاحِبَكُم الذى تنتظرون .

فآرْتَدَّ الناس سِراعاً من كلّ حدب وصَوْب ، يتدفقُون من هنا وهناك كأنَّهم السَّيْل ، تضيقُ بِهِم الطرقات ، رافعين سَعَفَ النَّخْل مردِّدين فى مَرَحٍ عامرٍ أُهْزوجةٍ ، ما تزال يتردَّد صداها عَبْر السنين إلى يوْمنا هذا :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِن ثَنِيَّاتِ الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى
أيها المبْعُوثُ فينا جئْت بالأمر المطاعِ
جئْت شَرَّفت المدينة مَرْحباً يا خَيْر داعٍ

ونَزَل رسُول الله « ﷺ » فى « **قُباء** » على « **بنى عمرو بن عَوْف** » ، وبنى مَسْجِدُه هناك ؛ ثم آنْتَقَل إلى « **المدينة** » .

وحاول كثيرٌ من الأَنصار أن يَحُوزوا رسُول الله « ﷺ » إلَيْهم ، ويَشرُفوا بضيافتِه عِنْدهم ، فيُمسِكُوا بزمام[1] ناقتِهِ ، فكان « **عليه الصلاة والسلام** » يَشْكُرُهم على عاطفتهم الطيبُة الكريمة ، ويقول لهم : اتْركوها فإنها مأمورة .

[مَسْجِدُ رسُولِ الله « ﷺ » ...]

وقضتِ الناقة فى سَيْرها تَخِبُّ بأُخْفافها فوق ثرى « **المدينة** » ودروبها حتى بَرَكَتْ فى أرضٍ فضاء ، هى مِرْبد[2] لـ « **سَهْل** » و « **سهيْل** » ـــ ابنى « **عمرو** » ـــ؛ فآشترى « ﷺ » الأرض مِنْهُما ، ونَزَل فى ضيافةِ « **أبى أيُّوب**[3] » الأنصارى ـــ رضى الله عنه ؛ رِيْثمَا تمَّ بناء المسْجد ، وحُجُراتُ رسُول الله حَوْلَهُ .

وأحبَّ « **أبو أيُّوب** » أن يُنزِل رسُول الله « ﷺ » فى الطابق العُلْوىّ من دارِه ، لِأنَّه ، كما قال ، لا يُطيق أن يكون فى مكانٍ يَعْلو

---

(١) زمام الناقة : مقودها وحبلها الذى يمسك به من يقودها .

(٢) المربد : الموضع الذى يجمع فيه التَّمْر . (٣) اسمه « خالد بن زيْد » .

مكان رسُول الله « ﷺ » ، لكنه ، « **عليه الصلاة والسلام** » أبى ذلك ، لأنَّهُ سَوْف يستقبل كثيراً من الناس ، فبقاؤه فى الطابق الأرضى ، أيْسر وأوْفق .

وانتهى بناء المسجد والْحُجُرات ، وكان المسْجد بسيطاً ، أعمدتُه من جذوع النَّخْل ، وسقْفه من سَعفها ، وأرضُهُ من الحصْباء ، وجدرانُه من اللَّبِن ، وتحوّل « **عليه الصلاة والسلام** » من ضيافة « **أبى أيوب** » إلى حُجُراتِهِ حَوْل المسْجد .

والمسجد — يابُنى العزيز — ، كما ترى ، أوّل ما آهْتَمَّ رسُول الله « ﷺ » ببنائه ، ولهذا دلالةٌ كُبْرى على أهَمِّيَّةِ المسجد ، أى مَسْجِدٍ ، فى المجتمع الإسلامى ، فهو مكان عبادتهم ، ومدْرَسَتُهُم ، وموْضعُ تشاوُرِهم ، ومُنْطلق قراراتهم الحاسمة فى مصائِرِهم ،ومَجْمَعُ شمْلهم ... وكثير غيْر ذلك .

[المجتمعُ الجديد ..]

على كل حال ، فلقد وَجَدَ المسلمون أنْفُسَهُم فى أجْواء جديدة فى المدينة ، بكُلّ ما فى كلمة الْجدَةِ من معنى ، سواء فى أوْضاعهم الأمْنِيّة ، أم الإجتماعية ، أم السياسية ، أم الاقتصاديّة .. أم فى غَيْر ذلك .

ولقد مارَسَ رسُولُ الله « ﷺ » قيادَتَهُ لهذا المجْتمع على أفْضَل ما تكون الممارسة ، وعلى أسْمى ما تكونُ الْقيادة ؛ فلم تمْضِ عشْر سنواتٍ على مقامِهِ فى المدينة ، ثم انتقالِهِ إلى الرفيق الأعلى ؛ حتى كان « **عليه الصلاة والسلام** » قد طَهَّر أرض شبه الجزيرة العربية من كُلّ معالم الشرْك والوثنية ، ووضَعَ أصحابَهُ على طريق المحجَّةِ[1] البيضاء ، وركّز أُسُسَ دَوْلة الإسلام والحقّ .

فى عَشْر سنوات !!! فقط !!!

---

(١) المحجّة : وسط الطريق ومعظمه ويسمّى : الجادّة والمقصود : الصراط المستقيم والدين القيم .

وهى فى عُمْر الزَّمن لا تُقاسُ ولا تُذْكر .

وإنى — يا بُنى العزيز — سأَمْضى مَعَكَ فى الصفحات التالية على ذِكْر وقائع كل سنةٍ من سِنِىّ الهجرة وأَحْداثها ، فى تَسَلْسُل وترابُط ليكُونَ لَكَ — دائماً وأبداً — فى السيرة النبويّة الشريفةِ خيْر أُسوةٍ وأَعْظم قدوة .

[السنة الأولى ...]

كان جُلّ هَمِّه « ﷺ » أَنْ تكون وَحْدة المسلمين وتماسُكهم على أمْتَنِ ما يكون لِأَنها حَجَرُ الزاوية فى بناءِ الْأُمم ، ولأن الْفرقة والتّناحُر سَبَبُ كل انهيارٍ وزوال .

فاتّجه أولاً إلى سدِّ كل ثَغْرة يُمْكن أن تُسبِّب خللاً بَيْنَ « **الْأَوْس** » و « **الخزرج** » — من أَهل « **المدينة** » —، والتى كان يَنْفَذُ منها دائماً الْعُنْصر « **اليهودى** » لاستلاب النُّفُوذ والسيْطرة التامّة ؛

ثُمَّ آخى بَيْن المهاجرين والْأَنْصار ، مؤاخاةً حيَّةً متينة فى الله وفى الإسلام ، ولقد تسابَقَ الناسُ وتنافسُوا فى هذا المضمار منافَسَةً تجاوَزَت كل المقاييس المعهودة فى الأَحْلافِ والْعُهُود ، حتى إن الرجل من أهلِ المدينة كان يقاسم أخاه المهاجرى ماله وداره وإحدى أزواجِهِ أَيْضاً فيطلقها ويتنازل عنها لأخيه .

وتذْكُر لنا كُتُب السِّيرة أسماءَ بَعْض المتآخين ، فعلى سبيل المثال ؛ كان « **أبو بكر** » و « **خارجة بن زيْد** » أخويْن ، و « **عمر بن الخطاب** » و « **عتبان بن مالك** » أخويْن ، و « **أبو عُبَيْدة بن الجراح** » و « **سعْد بن معاذٍ** » أخوين ، و « **عبد الرحمن بن عوْف** » و « **سعْد بن الربيع** » أُخَوَيْن ، و « **الزبَيْر بن العوّام** » و « **سلَمَه بن سلامة بن وقْشٍ** » أُخَوَيْن ... وهكذا .

والْتَفَتَ « **عليه الصلاة والسلام** » إلى الْعُنْصُر اليهودى ، فرأى أنَّه صاحب نفوذٍ وسلطان ، فى المال ... والزراعة ...، والْغَدر والمكْر والدَّهاء ، فاتَّجَهَ إلى معاهدتهم بإقرارهم على دينهم وأموالهم وأَنْفُسِهِم ، بِشَرْط أن لا يُحالِفُوا عليه عدداً . وكَتَب بذلك كتاباً ــ وثيقة .

والملاحظُ فى هذا ــ يا بُنَىَّ العزيز ــ أَنَّ رسُول الله « ﷺ » مِنْذ البداية ، استطاع بما آتاهُ الله تعالى لهُ من حُسْن التقدير والتدبير ، أن يُمْسِك بزمام الموقف كلّه فى المدينة ، وأن يكون رأس الأَمْر فيها فعْلاً ...

[أَوَّل موْلُودٍ للمسلمين فى المدينة ...]

وكان « **عبد الله بن الزُّبَيْر** » أوّل مَوْلودٍ يُولد للمسلمين فى المدينة ، فَفَرِحُوا به كثيراً ، خاصة والده « **الزُّبَيْر بن العوام** » ــ ابن عمَّةِ رسُول الله « ﷺ » ، ووالدتُهُ « **أسماء بنت أبى بكر الصديق** » ــ ذات النِّطاقين .

فحملتْهُ أُمُّه إلى رسُول الله « ﷺ » ، فباركَهُ ودعا لهُ ، وسمّاه ، وكان أوّل شئٍ دَخَلَ جَوْف « **عبد الله** » ريق رسُول الله « ﷺ » ، كما حنّكَهُ[1] بِتَمْرةٍ .

[الزواج مِنْ « عائشة » ــ رضى الله عنها ...]

وكان رسُول الله « ﷺ » قد خَطَب « **عائشة** » فى « **مكّة** » قَبْل الْهِجْرة ، إذ جاءَهُ « **جبريل** » ــ عليه السلام ــ بصورتها على سُرْقةٍ[2] من حرير قائلاً : هذه زَوْجَتُك فى الدُّنْيا والآخرة .

غَيْر أن تلاحُق الْأَحْداث ، جَعَلَه « **عليه الصلاة والسلام** » فى شغل شاغلٍ عن موضوع الخطبة والزواج .

---

(١) التَّحْنيك : هو إقْرارُ التَّمْرةِ بعد مَضْغها على حَنَكِ المَوْلُود ، تقْويةً لحَنَكِه ، واستحْلاباً للمادة السُكَّرِيّة .

(١) السُّرْقة : المقطعة من القماش .

فلما آستَقَرّ الأَمْر فى « المدينة » ، جاءَه « **أبو بكْر** » — رضى الله عنه — قائلاً : — ألا تُريد أن تَبْنى[1] بأَهْلك يا رسُول الله ؟

وتَمَّ الزواج فى شَهْر شوّال من السنة الأولى من الْهِجْرة ؛ وكانَتْ « **عائشة** » — رضى الله عنها — ابْنَةَ إحدى عشرة سنة ، ومِنْ أَحْظى[2] نسائِهِ عنْدَه ، « ﷺ » .

[مشروعيَّةُ الأَذان ...]

وكان المسلمون فى المدينة إنّما يَجْتمعُون للصلاة مع رسُول الله « ﷺ » وخَلْفَهُ ، فى ميعادها ...

ووجدوا فى ذلك مَشقَّةً عَلَيْهم ، وتخلّف البْعض ، فَتَحدَّثوا فى ذلك ، وآقترحوا ناقوساً كالنصارى ، وآقْتَرَح آخرون يومَاً مِثْل بوق اليهود ، وَيَدْعونه : شبّوراً ؛ لكنّ كل ذلك لم يَرُق لرسُول الله « ﷺ » .

ثم جاءَه أحدُ الصحابة ، ويُدْعى « **عَبْد الله بن زيْد** » فقال :

— يا رسول الله ، إنّه طاف بِى هذه اللَّيْلة طائِفٌ ، مرَّ بى رجُل عليْه ثَوْبانِ أخْضران يَحْمل ناقُوساً فى يِدِهِ ، فَقُلْتُ : يا « **عبد الله** » ، أتبيعُ هذا الناقوس ؟ فقال : وما تَصْنَعُ بِهِ ؟ قلتُ : نَدْعو بِهِ إلى الصلاة . قال : ألا أَدُلُّك على خَيْرٍ من ذلك ؟ قلتُ : وما هو ؟ قالَ : تَقُولُ : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشْهَدُ أَنْ لا إلـه إلا الله ، أَشْهَدُ أَنْ لا إلـه إلا الله ، أَشْهَدُ أَنْ محمداً رسُول الله ، أَشْهَدُ أَن محمداً رسُول الله ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح ، حيَّ على الْفَلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إلـه إلا الله .

فلما أَخْبر بها رسُولَ الله « ﷺ » قال : [**إنها لرؤيا حق — إن**

---

(١) تدخل عليها ، وتتزوج بها .

(٢) الحظوة : المنزلة والقرب والمحبة .

شاء الله ــ، فَقُمْ مع « بلال » فَأَلْقِها عَلَيْه فليُؤَذِن بها ، فإنه أَنْدى صَوْتاً مِنْك] .

فلمّا أَذَّن بها « بلالْ » ، سَمِعَهُ « عُمَر بن الخطاب » ــ رضى الله عنه ــ وهُوَ فى بَيْتِهِ ، فَخَرج إلى رسُول الله « ﷺ » ، وهو يجُرُّ رداءَه ، وهو يقول : يا نَبِيَّ الله ، والذى بَعَثَكَ بالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْل الذى رأى ..

فقال رسُول الله « ﷺ » .

[فَللهِ الحَمْد] .

[السَّنَةُ الثانيةُ مِنَ الْهِجْرة ...]

قال الله تعالى :

﴿ أُذِنَ للذين يُقاتَلُون بأَنَّهم ظُلِمُوا وإن الله على نصْرِهم لَقَدير * الذين أُخْرِجوا من ديارِهم بغَيْر حَقٍ إلاّ أَنْ يَقُولُوا ربُّنا الله ولوْلا دَفعُ الله الناسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صوامِعُ وبِيَعٌ وصَلَواتٌ ومساجديُذْكَرُ فيها اسْمُ الله كثيراً ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ من يَنْصُرُهُ إنّ الله لَقَوىٌ عزِيز ﴾[1] ..

بُنَىَّ العزيز :

مع مطلع السَّنة الثانية من الْهِجْرة رفَعَ رسُول الله « ﷺ » راية الجهاد ، وعَقدَ اللّواء ، وخَرَج من دائرة المدينة المنوّرة غازياً فى سبيل الله ..

وكان همّه الأوّل « قريْشاً » لِأَنها بُؤْرة الشّرْك ، ومنبع التسلُّط والْظُلْمِ والغضب ، فكُلّ معركةٍ جانبيَّةٍ خاضها « عليه الصلاة والسلام » بنَفسِهِ ، أَوْ سَيَّر سريَّةً مِنْ أصحابه ، من المهاجرين

(١) سورة (الحج) الآيات (٣٩ ـــ ٤٠)

والأنصار ، إنما كان يهْدِف إلى زَعْزَعةِ الموقف القرشيّ ، حتى يحين أوانُ الحسْم ؛

ولَيْس القتالُ فى الإسلام ، يا عزيزى ، شَهْوة حَرْب وتدمير ، ولا حبّ تسلُّطٍ وقهْر وآستعْباد ، ولا إراقة الدماء وآسْتنزاف خَيْرات العباد ، أبداً ...، إنما هُوَ دَفْع ظُلْمٍ وردّ آعتبارٍ ، وتيسير سبيل الناس إلى الحق والهُدى .

وقد يكُونُ الدَّفْع والدفاع ، فى بَعْض الأحيانِ هُجُوماً على العدوّ ، ولكنّه ليْس المبْدأ الدائم .

فَقَدْ ظُلِمَ المسْلمون فى مكة أيمّا ظُلْم ، وقُهروا أيمّا قَهْر ، وفُتِنُوا وعُذِّبُوا ، وسُلَبَتْ أمْوالهم ، وديارُهم ، وأملاكُهُم ، واغْتصبتْ حُرِّياتُهُم ، وأُوذى بَعْضُهُم إلى حدّ زهْق الأَرْواح ؛ أفلا يحق لهم ، والحال هذه ، أن يُدافِعُوا عن أَنْفُسِهم ، ويردُّوا إليْهم بَعض ما سُلِبَ منهم ؟!

نعم .. فَقَدْ ﴿ **أذن للّذين يُقاتَلُونَ بأنّهم ظُلِمُوا وإنّ الله على نَصْرِهم لَقَدير** ﴾ ..

وكانَتْ أُولى الغزوات ، « **غَزْوَةُ الأَبْواء** » ، ويقال لها : « **غزوة ودّان** » ، فقد خَرَج النبُّى « ﷺ » فى شَهْر « **صَفَر** » من السنة الثانية من الهجرة ، على رَأْسِ قوات من المسلمين ، واستعَمَلَ على المدينة « **سَعْدَ بنَ عُبادة** » ـــ رضى الله عَنْه ـــ.

حتى بَلَغَ « **وَدّان** » ، يريد « **قُرَيْشاً** » و « **بنى ضَمْرة** » ، فوادعَتْه[1] « **بنو ضَمْره** » ، بشخص سيِّدها « **مَخْشّى بن عمرو** » .

ثم رَجَعَ رسُولُ الله « ﷺ » ولم يلْق كَيْداً . وأَقام فى « **المدينة** » بقيَّة « **صَفَر** » وقسْطاً من ربيع الأوّل .

---

(١) وادعته : سالمته وصالحة . ويقال : وادعته موادعة ووِداعاً .

وفى أثناءِ ذلك . بعث رسُولُ الله « ﷺ » « **عُبَيْدة بن الحارث ابن المطّلب** » فى سِتين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم أَحَدٌ من الأنصار ، فساروا حتى بَلغُوا ماءً بـ « **الحجاز** » ، أَسْفَلَ « **ثنيّة المرَّة** » ، فَوَجدوا **جَمْعًا** عظيماً من « **قريش** » ، ولم يحْدُث بَيْن الطرفين **قتال** ، إلاّ ما حَدَث فى « **سَعْد بن أبى وقّاص** » ، الذى رمى بسَهْمٍ ، فكان أوّلَى سهْم رُمى به فى الإسلام .

ثم آنْصَرَفَ القوْم عن القوْم ، وللمسْلمين هَيْبَة وحامية ، كما فَرَّ من المشركين إلى المسلمين « **المقدادُ بن عمرو** » و « **عُتْبة بن غزْوان** » ، وكانا مُسْلِميْن ، ولكنَّهما خرجا مع المشركين من « **مكّة** » لِيَصِلا إلى المسلمين .

كما بعث « **عليه الصلاة والسلام** » بعْثاً آخر بقيادة عمه « **حمْزة ابن عبد المطلب** » ــ رضى الله عنه ، إلى سيفِ الْبَحْر ، فى ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار احد .

فلقى « **أبا جَهْل** » ومعه ثلاثمائة راكبٍ من المشركين ، لكن حَجَزَ بَيْن الطرفيْن « **مجدىُّ بن عمرو الجُهنىّ** » الذى كان مُوادِعاً للطرفيْن : فآنصرفوا عن بَعْض من غير قتال .

ثم غزا رسُول الله « ﷺ » بنفسه ، فى شهر ربيع الأوّل ، يريدُ قريْشاً ، فى مائتىْ راكبٍ ، وكان لواءُه مع « **سعد بن أبى وقّاص** » ، يريدُ أن يعترض عيراً لِـ « **قريش** » .

فَبَلَغَ مكاناً يُدْعى « **بُواط** » ، وقد فاتَتْه العير ، فلم يلْق كيْداً ولا قتالاً ، ورَجَعَ إلى المدينة .

ثم غزا « **غزوة الْعُشَيْرة** » مُتعَرِّضاً أَيْضاً لقافلةٍ من قوافل تجارة « **قريش** » ، حتى نَزَلَ « **الْعُشَيْرة** » من بَطْن « **ينبُع** » ، وهناك وادَعَ

« بنى مُدْلج » و « بنى ضَمْرة » ، ثم رَجَعَ إلى المدينة ، من غَيْر أن يلقى كَيْداً .

ولم يُقِمْ « **عليه الصلاة والسلام** » بالمدينة إلاّ ليالى معدودة ، حين أغارَ بعْض المشركين بقيادة « **كُرْز بن جابر** » على ماشيةٍ للمسلمين فى ضاحيةٍ من ضواحى المدينة ، فَخَرَج « **عليه الصلاة والسلام** » فى طَلَبِهِ حتى بَلَغَ وادياً يُقالُ له « **سفْوان** » ــ أو « **صفوان** » ، قريباً من « **بَدْرٍ** » ، لكنَّ « **كرزاً** » نجا بما مَعَهُ من السَّرْح[1] ، وعاد رسُول الله « ﷺ » إلىٰ المدينة ، وهذه هى غَزْوَةُ « **بَدْر** » ــ الأولى ــ

والملاحظُ ــ يا بُنَىَّ العزيز ــ أَنَّ هذه الْغزوات ، كانَتْ نَوْعاً من تأديب المشركين ، وإظهار قوَّة المسلمين ، ومواعدةً لبعض أَعْراب البادية ، واسْتِرداداً لبعْض أَمْوال المهاجرين التى سَطَتْ عليْها قريش .

والملاحظ أَيضاً ، أن المهاجرين كانوا الْعُنْصُر الأساسىّ فيها ، دون الْأنصار ، لِأَنَّهم أَصْحابُ الثَّأْر والأَوْلى بِهِ .

[بَدْرٌ الْكُبْرى ...]

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ ببَدْرٍ وأَنْتُم أَذِلَّة[2] فَاتَّقُوا الله لعلَّكُمْ تَشْكرون[3]** ﴾ ..

وقال عزّ من قائل : ﴿ **كما أَخْرَجَكَ ربُّكَ من بَيْتِكَ بالْحَقِّ وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون * يُجادِلونَكَ فى الْحقّ بعد ما تَبَيَّنَ كأنما يُساقُونَ إلى المَوْت وهُمْ يَنْظرون * وإذا يَعِدُكُم اللهُ إحدى الطَّائفتَيْن أَنّها لكُم . وتَوَدُّون أَنّ غَيْر ذاتِ ــ الشَّوْكة تكونُ لكُم * ويريدُ**

(١) الماشية التى تسرح وترعى .

(٢) أذلة : قلائل ضعاف .

(٣) سورة (آل عمران) الآية (١٢٣)

اللهُ أنْ الحقَّ بكلماتِهِ ويقطع دابِرَ الكافرين ليُحِقَّ الحقَّ ويُبْطل الباطل ولَوْ كرِه المجرمون ﴾[1] ..

هذه الآيات غَيْضٌ[2] من فَيْضٍ ، من كتاب الله تعالى فى غزوة « **بَدْرٍ** » الكُبرى ؛

الْغَزْوَةُ التى قيل فيها أيضاً إنّها يَوْم الفُرقان ، الذى فَرَقَ الله فيه بَيْن الحق والباطل ، وكانت إيذاناً باضمْحلال سُلْطان « **قريش** » ، وآنكسار شوكتها ، وزوال سَطْوَة الشِّرْك وظِلّ الأوثان عن جزيرة الْعَرَب .

وحَدَثَ قبْلها ، أنْ عَقدَ رسُول الله « ﷺ » لواءً لِـ « **عبد الله بن جحشٍ** » مع ثمانية أنفارٍ من المهاجرين ليأتُوا « **بَطْن نخلَة** » قريباً من « **مكّة** » فيرصدوا « **قريْشاً** » ويَتَحسَّسُوا أخْبارها .

وهناك ، مَرَّتْ بهم عيرٌ لـ « **قريش** » فيها « **عمرو بن الحَضْرَمىّ** » ، فتردَّدوا فى مهاجمته لِأنّهم فى الشهر الحرام ، الذى لا يُقاتِلُون فيه ، ثم أجْمَعُوا أمْرَهم ، فرماهُ « **واقدُ بن عبد الله التميمى** » بِسَهم فقَتَلَهُ ، وأسروا أسيرَيْن ، وآسْتلَبُوا الْعِير .. وعادوا بها إلى « **المدينة** » .

وأرْجَفَ المرْجِفُونَ بأَنَّ « **محمداً** » — « ﷺ » — قد آنْتَهكَ حُرْمة الْأشْهُر الْحُرم ، فأنْزَل الله تعالى آيات بيِّناتٍ تَضعُ حدّاً لكُلّ آفتراء وتَضْليل ..

فقال : **﴿ يَسألونَكَ عن الشّهْر الحرام قتالٍ فيه ؟ قُلْ قِتالٌ فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكُفْرٌ بِهِ والمسجد الحرام وإخراج أهْله مِنْهُ أكْبَرُ عند الله ، والفِتْنَةُ أكْبَرُ من القَتْل . ولا يزالُونَ يُقاتِلُونكُم حتى**

---

(١) سورة (الأنفال) الآيات (٥ — ٨)

(٢) قليل من كثير . فيقال غاض الماء قل وجف عكس فاض .

يردو كم عن دينكم إنِ استطاعوا ... ﴾[1] .

فآسْتَراح المؤمنون ، وخَرِس هنالك الْمُبْطِلُون .

[تَحْويل الْقِبلَة ...]

وكان رسُول الله « ﷺ » حتى الشَّهْر السابع عشر من قدومِهِ إلى المدينة يَتّخذ ، بَيْت المقْدس قِبلَةً له ، وكان ذلك مَدْعَاةَ فِتْنةٍ من اليهود ، إذ كانوا يُردّدون بأَنَّ دين « **محمد** » ـــ كما يقول هو الإسلام ، دين « **إسماعيل** » و « **إبراهيم** » ـــ عليْهما السلام ـــ فكيْف يَصلّى إلى قبلة اليهود فى بَيْت المقدس ، ولايُصلّى إلى الكعْبة ؟؟

ولقد كان « **عليه الصلاة والسلام** » يتحرَّج ويتضايق من قولهم هذا ، وقيل إنّه كان يَخْرُجُ لَيْلاً إلى ضواحى المدينة ، يَتطلَّعُ إلى السّماء ، ينْتَظر الْفرجَ فى هذا الأَمْر .

فأَنْزَلَ الله تعالى : **﴿ قَدْ نرى تَقلُّبَ وَجْهِكَ فى السّماء . فلنُوَلينَّكَ قِبْلةً تَرْضاها فوَلِّ وَجْهَكَ شَطْر المسْجد الحرام ... ﴾**[2] .

وكان ذلك ليْلة النِّصْف من شعْبان ، فى العام الثانى لْلهِجْرة ، قبيل غزوة « **بَدْر** » .

وكذلك فُرض الصّيام ، فى هذا العام .

﴿ يا أيها الذين آمنُوا كُتبِ عليْكُم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلِكُم لعلكُم تَتّقون ﴾[3] .

﴿ شَهْر رمضان الذى أُنْزِل فيه الْقُرْآنُ هُدىً للناس وبيِّناتٍ من الهُدى والْفُرقان . فمن شَهِد منكُم الشّهْر فَلْيصُمْهُ ... ﴾[4] ـــ الآية ـــ

---

(١) سورة (البقرة) الآية (٢١٧)
(٢) البقرة : ١٤٤
(٣) البقرة : ١٨٣
(٤) سورة (البقرة) الآياة (١٨٥)

[فى « بَدْر » ..]

سَمِعَ رسُولُ الله « ﷺ » أَنَّ عيراً لقُريش قادمة من الشام ، فى تجارةٍ عظيمة ، عليها « **أبو سُفْيان بن حَرْب** » ؛ فقال لأصحابه :

[هذه عيرُ« قريش » فيها أموالهم ، فآخرُجوا إليْها لعلَّ الله يُنْفِلْكمُوها][1]

فأطاع بَعْضُهُم وثَقُلَ البعْض الآخر ، لأنَّهُم لم يَظُنُّوا حدوث قتالٍ .

فخَرَج « **عليه الصلاة والسلام** » على رَأْس ثلاثمائة وبضْعة عَشَرَ نَفراً من المسلمين ، وكان « **أبو سفيان** » ، وهو فى الطريق يتحسَّس أخْبار المسلمين ، فقيل له بأنّ « **محمداً** » — ﷺ — قَدْ خَرَج له ، فخالَف الطريق ثم بَعَث رسولاً إلى « **قريش** » يَسْتَنْفِرهُم لحماية أموالهم وتجارتهم ، فهبُّوا جميعاً فى حميّةٍ جاهلية وعلى قيادتهم أرهاط[2] الكُفْر أمثال « **أبى جَهْل** » و « **عُتْبَةَ بن ربيعة** » و « **أُميَّة بن خَلَف** » وغيرهم .

فلمّا كانوا قريباً من « **بَدْرٍ** » بَلَغهم أن القافلة نَجت ، فقال بَعْضُهُم : نعُودُ إلى « **مكَّة** » حيث أن أموالنا قد سلمت ، ولم يعد مُوجِبٌ للاستمْرار فى التقدُّم ، فقال « **أبو جَهْلٍ** » معارضاً : والله لا نَرْجع حتى نَرِدَ « **بَدْراً** » فنقيم عليْها ثلاثاً ، **فننحر** الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمْر وتعْزف علينا القيان[3] وتسْمع بنا العرب بمسيرنا وجَمْعنا فلا يزالُونَ يهابُوننا أبداً .

وكان عَدَدُ المشْركين ما بيْن التسعمائة إلى الألْف ، ثلاثة أضعاف المسلمين !!!

---

(١) النّفل : العطيّة .

(٢) ارهاط جمع رهط والرهط الجماعة من الناس .

(٣) القيان : المغنيّات .

وبالإضافة إلى قِلّة عَدد المسلمين ، فقد كانوا أَيْضاً فى عُدَّةٍ قليلةٍ ضعيفة ، كان معهم سَبْعُون بعيراً يركبُونها بالتّناوب ، وقليلٌ مِنْهَم من كان عليْه دِرْع ...!

وعَلِمَ رسُولُ الله « ﷺ » بخروج « **قريش** » ، وإصْرارها على المسير والمواجهة ، بعد أن نَجَتِ العير بما عليْها ، هنا ... تَغَيَّر المَوْقف ...، فأَحَبَّ « **عليه الصلاة والسلام** » أن يستشير أَصْحابَهُ فى الأَمْر ، خاصة « **الأَنْصار** » الذين عاهدوه على الحماية من كُلّ سُوءٍ وأذى يُمْكن أن يتعرض له وهُوَ فى « **المدينة** » .. لا خارجها ..

فقال « **عليه الصلاة والسلام** » : [أشيرو علىَّ أيها الناس ...] ؛ فقام « **أبو بكْر** » ـــ رضى الله عنه ـــ، فقال وأَحْسَنَ ، ثم قام « **عمر ابن الخطاب** » ـــ رضى الله عنه فقال وأَحْسَنَ أَيْضاً ، ثم قام « **المقْداد ابن عمرو** » فقال :

يا رسُول الله امْض لما أراك الله ، فَنَحْنُ مَعَكَ ، والله لا نقُول لَكَ كما قالتْ بنُو إسرائيل لـ « **موسى** » ؛ اذهب أَنْتَ وربُّك فقاتِلا إنا ها هُنا قاعدون ، ولكن : اذْهَبْ أَنْتَ ورَبُّك فقاتلا إنّا مَعَكُما مُقاتلون ، فَوَالّذى بَعَثَكَ بالحقّ لَوْ سِرْت بنا إلى « **بَرْكِ الْغماد** »[1] لجالَدْنا مَعَكَ من دونِهِ حتى تَبْلُغه .

فقال له الرسُولُ « ﷺ » خيْراً ودعا له بخير .

وكان كل الذين تكلّموا حتى السّاعة من المهاجرين .

وإنما يريدُ رسُولُ الله « ﷺ » أَن يتبيَّن موْقف « **الأَنْصار** » ، فقال مكرِّراً :

[**أشيروا علىَّ أيها الناس ...**] .

---

(١) موضع فى الطريق من مكة إلى اليمن .

فقال « **سَعْد بن مُعاذٍ** » ــ رضى الله عنه :

والله لكأنَّكَ تريدُنا يارسُول الله ؟ قال : أَجَل ...، فقال « **سَعْد** » : لقد آمنّا بك وصدَّقْناك وشهِدْنا أَنَّ ما جِئتَ به هو الحق ، وأَعطيْناك على ذلك عهُودنا ومواثيقنا على السَّمْع والطاعة لك ، فآمْض يا رسُول الله لما أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَك فَوَالذى بَعَثَكَ بالْحق لو اسْتَعْرضْتَ بنا هذا الْبَحْر فَخُضْتَهُ لَخُضْناهُ معك ، ماتَخَلَّفَ منّا رجُلٌ واحد ، وما نكْرَهُ أَنْ تَلْقى بنا عدوّنا غدا ، إنّا لَصُبُرٌ[1] فى الحرْب ، صُدُق[2] عِنْد اللقاء ، لعلَّ الله يُريك مِنّا ما تَقَرّ بِهِ عَيْنك ، فَسِرْ على بَركَةِ الله .

فَسُرَّ رسُول الله « ﷺ » من قوْل « **سَعْد** » ، ثم قال : [**سيروا وأَبْشروا فإن الله قد وَعَدنى إِحْدى الطائفتين**[3] ، **والله لَكأَنى الآن أَنْظُرُ إلى مصارع الْقَوْم**] .

وعلى هذا الْعَزْم مضى المسلمون حتى نزلُوا « **بَدْراً** » فى الْعُدْوة الدُّنيا ، ثم غيَّروا موقعهم قريباً من الماء بإشارةٍ من « **الْحُباب بن الْمُنْذِر** » ، حَيْثُ جَعَلُوا هناك حوْضاً ..

وآستَطْلَعَ النبىُّ « ﷺ » عن عَددِ المشركين ، فَعَرَفَ أَنهم بَيْن التسعمائة إلى الأَلْف .

وجاء المشركون ونَزَلُوا بالعُدوةِ الْقُصْوى .

وأُقيم لرسول الله « ﷺ » عريش[4] ، وقد قال له فى هذا « **سعْد ابن مُعاذٍ** » : يا نَبىَّ الله ألا نَبْنى لك عريشاً تكُون فيه ونُعِدُّ عندك ركائبَكَ ، ثُمَّ نلْقى عدوَّنا ، فإنْ أَعَزَّنا الله وأَظْهَرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أَحْبَبْنا ، وإن كانت الأُخرى ــ (يعنى الهزيمة) ــ جَلَسْت على

---

(١) جمع صبور .
(٢) جمع صدوق .
(٣) العير أو النفير .
(٤) خيْمة من يدان « قش » .

ركائِبك فَلَحِقْتَ بِمَنْ وراءَنا من قوْمنا ، فَقَدْ تَخلَّف عنك أَقْوام ما نَحْنُ بأَشَدَّ حُبّاً لك مِنْهم ، ولو ظَنّوا أَنَّك تلْقى حَرْباً ما تَخلَّفوا عنك ، يَمْنعك الله بهم ، يُناصِحُونك ويُجاهدون معك .

وسوّى رسُول الله « ﷺ » صُفُوف أَصْحابِهِ وعدَّلها لِلقتال ، ثُمَّ ضَرَع إلى الله تعالى : [**اللهُمَّ هذه « قريش » قد أَتَتْ بخَيْلها وخيُلائها تريدُ أن تُكذّب رسُولَكَ ، اللهُمَّ فَنَصرك الذى وعدْتنى ، اللهُمَّ إنْ تَهْلك هذه العصابة لا تعْبَدَ فى الأَرْض ....**] .

ولقد تصاعَدَتْ حرارة الدُّعاء إلى عنانِ السَّماء ، فَأَنْزل الله تعالى جُنْده من الملائكة .

﴿ إذ تسْتَغيثون ربّكم فاسْتجاب لكُم أَنّى مُمِدُّكُم بألْفٍ من الملائكة مُرْدفين * وما جَعَلَهُ الله إلاّ بُشْرى وَلِتَطْمئِنَّ به قلوبكم وما النَّصْر إلاّ من عِنْد الله إن الله عزيزٌ حكيم ﴾(١) ..

واسْتَبَدَّ الْعطَش بـ « **قريش** » ...، فى لظى الحرّ وشِدَّة المْوقف ، فَأَقْسَم أَحد رجالِهم .. « **الأَسْوَد بن عَبْد الأَسَد** » أن يأْتى الحوْض الذى بناه المسلمون على الماء ، فإمّا أَنْ يَشْرب أو يَهْدم الحوْض ، أو يموتُ دُونَهُ .

وخَرَج على فرسِهِ ، فتلقّاه « **حَمزة بن عبد المطلب** » ــ رضى الله عنه ، فَضَرَبَهُ بسيْفِهِ قريباً من الحوْض ، فأَصاب رِجْله ، فراحتْ تَشْخُبُ دماً ...

وأَلْهب مَنْظَرُ الدماء حميَّة الجاهليّة ، فَنَزَلَ إلى الميدانِ من « **قريش** » : « **عُتْبة بن ربيعة** » والد « **هِنِد** » زوجة « **أَبى سُفيان بن حرب** » ؛ وأَخُوهُ « **شَيْبة** » وابنه « **الوليد بن عُتْبة** » ، وطلبوا من

(١) سورة (الأنفال) الآيات (٩ ــ ١٠)

المسلمين المبارزة ، فأشار رسُول الله « ﷺ » إلى « **حمزة** » و « **على** » و « **عُبَيْدة بن الحارث** » أَنْ يواجهوهم ، فَبَرَزُوا إِلَيْهم وقاتلُوهم حتى صَرَعُوهم ..

ثمّ ٱلْتَحَم الطّرفان ...
وكان قتال المسلمين لله ، وقتال الكافرين للطّاغُوت[1] ...

ودارت رحى معركةٍ تساقَطَتْ فيها رؤوس الكافرين من أَفْذاذِهم واحداً تِلْو الآخر ، فَصُرِعَ« **أبو جَهْلٍ** » و « **أميّة بن خَلَفٍ** » و « **أبو البخْترى بن هشام** » ... وغَيْرهم ، ودارت[2] الدائرة على « **قريش** » ...،

فأُسِرَ مِنْهُم نحو سبْعين ، وقُتِل عَدَدٌ يُماثِله ، وفرَّ الباقون ، وخَلَّفوا وراءَهم كثيراً من المغانم والْأَسْلاب[3] ...

وكان لِلنَّبأِ دَوىّ هائل ...، سواء فى « **مكّة** » أَوْ فى « **المدينة** » مع اختلاف ردِّ الْفِعْلِ ، فقد قامت فى « **مكة** » المناحات ، وأما فى « **المدينة** » فقد هلَّلَ المسلمون وفرِحوا بِنصْرِ الله ؛ أما اليهود من أَهْلها فقد باتُوا فى حَنقٍ وغيْظ .

وٱفْتدى الأسرى أَنْفسهم بالمال ، وجُعِلَ القتْلى فى قَليب[4] ، ووُزِّعتِ المغانم على المحاربين الْأَبْطال .

﴿ ومَنْ يُشَاقِقِ الله ورسوله فإنّ الله شديدُ الْعِقاب ﴾[5] [الأنفال ١٣] ..

---

(١) الطاغوت : كل ما يعبد من دون الله .
(٢) دارت الدائرة عليهم : هزموا .
(٣) الأسلاب جمع سلب ، وهو ما يحمله القتيل من سلاح ومال .
(٤) القليب : الْحُفْرةُ العظيمة ، تُشْبه البئر .
(٥) الأنفال : ١٣ .

[غَزْوَةُ السَّويق ...]

هذه الْغَزْوة ، كانَت رَدَة فِعْل سريعة وفَوْرية من « **قُرَيْش** » ، **قريش** . التى أُصيبتْ فى صميم كرامتها ، وعَنْجهيتها ،

وظَهَر على المسْرح ، مَسْرح الأحداث ، الدور القِيَادى لِـ « **أبى سُفيان** » ، بَعْد مَوت الزعماء والسادة فى « **بَدْر** » .

لقد أَقْسَمَ « **أبو سُفيان** » أن لا يمسّ الماء جِْسمَهُ حتى يُثأر لِقَتْلى « **بَدْر** » .

ثم خَرَج من « **مكة** » فى مائتى فارسٍ من المشركين ، حتى نَزَلَ قريباً من المدينة ، ثم أَتى ليْلاً حَيَّ « **بنى النّضير** » من اليهود ، يريدُ أن يكلّم سَيِّدَهم « **حُيَيّ بن أَخطب** » لعلَّه يجد لديْه عوْناً ومساعدة ، فرفض الأَخير آستقباله ، فراح إلى سيِّد آخر من سادات اليهود هو « **سلاّم بن مِشْكم** » ، فاسْتضافَهُ هذا ، وزوّده ببعض المعلومات عن المسلمين ... فقط !!

فَرَجَعَ « **أبو سُفيان** » إلى أَصْحابِهِ ، خائباً ، خالى الوِفاض ، ثم دَفَعَ ببعْضٍ منْ مَعَهُ إلى إحدى ضواحى « **المدينة** » فى اللَّيْلة التالية ، فأغاروا على بَعْضِ الأراضى الزراعية وخرّبُوها ، ثمّ قَتَلُوا أَحَدَ « **الأَنصار** » ... ثم فَرّوا ...

وهَبَّ المسلمون بقيادة رسول الله « ﷺ » يَتَعَقّبونَهُم ، فلم يُدْركوهم ، غير أَنَّهم وَجَدوا كثيراً من طعام « **السَّويق** »[1] ، قد خَلَّفه الفارّون وراءهم .

ولذا سُمّيت الغزوة بـ « **غزوة السَّويق** » .

---

(١) السويق : دقيق خَشِن ، يُلتُّ بالسَّمْن وغيره .

والملاحظ ــ يا بُنَيّ العزيز ــ جبانَةُ « **أبي سُفْيان** » ومَنْ مَعَهُ ، في كُلّ حركةٍ من حركاتهم ، وكل تَصرُّفٍ من تصرَّفاتِهم ؛ وإلى أَيّ مدىً كان « **أَبو سُفيان** » صادقاً مَعَ قَسمِهِ ويمينِهِ !!!

[« فاطمة » و « عليّ » ــ رضى الله عَنْهُما ...]

كانَتْ « **فاطمة** » ــ رضى الله عنها ــ قد اكْتَمَلَتْ أُنُوثَةً ونُضُوجاً ، وكان « **عليٌّ** » ــ رضى الله عنه ــ قد ظَهَرَ بمواقفِهِ الإيمانيْة والبطولية ظهوراً عظيماً حتى عُدَّ فارس الإسلام ..

ومَنْ أَوْلى بـ « **الزَّهْراءِ** » من الفدائى الأَولى « **على بن أبى طالب** » ربيبُ رسُول الله « ﷺ » ، والمتربىّ فى حجْره ، وبَيْن ظهْرانىْ أَهْلِهِ وفى صميم بيْتِهِ ، والذى كرَّم الله وجْهه فصانَهُ عن السُّجُودِ لِصَنَمٍ أَو الخضوع لوثن !!!

وتمَّ الزواجِ ، وباركَهُ الله تعالى ، ورسُوله « ...، **ليكون مِنْ بعْدِ ذلك مَصْدر ذُرّيَّةَ** « **محمد** » « ﷺ » ونَسْله الشريف .

[من « بَدْرٍ » إلى « أُحُدٍ » ...]

وغزوةُ « **أُحُدٍ** » كانت إحدى أَكْبَر الغزوات وأَهمّها ، من حَيْث الوقائع والنتائج على حركة الدّعْوة ...

ولقد سُمّيت بآسْم الموقع الذى جَرَتْ عِنْده ، تَحْت سَفْح جَبَلِ « **أُحُد** » الذى يقف شامخاً من ناحية الشمال الشرقى لِـ « **المدينة** » المنّورة ..

ولقد كان بَيْن « **بَدْرٍ** » و « **أُحُدٍ** » أَكْثَرُ من غزوةٍ وأَكثر من سريّة بَعَث بها رسُول الله « ﷺ » عرضنا فى السابق لواحدةٍ منها هى غزوة « **السَّويق** » ...

ثم كانَتْ غزوةُ « **ذى أَمَر** » فى منطقة « **نَجْد** » ، مع نهاية شهر « **ذى الحجّة** » ــ أو أوائل شهر « **صَفَر** » ..

وسببها أن قبيلة « **غطفان** » تَجمّعوا فى ذلك المكان يريدون غزو المدينة وعلم « ﷺ » ، فَخَرَج إِلَيْهم ...

وأَنْتَ تلاحظ ــ يابنى العزيز ، ولَسَوْف يتأَكَد لك ذلك ، أن رسُول الله « ﷺ » كان يُفاجىء عدوّه فى أَكْثَر الأحيان قَبْل أَن يُكْمل آستعدْاده ، ويَغْزُوَهُ قَبْل أن يَغْزُوهُ ، وتلْك الخطة فى التدبير العسكرى ، تُعْتَبَرُ خيرْ وسائل الدفاع .

لكن « **غطفان** » فرّوا إلى رؤوس الجبال ، ولم يواجهُوا المسلمين فى معركةٍ .

وصادَفَ أن أَمْطَرَتِ السماء ، وآبْتَلَّ ثَوْبُ النبىّ « ﷺ » فَنَشَرَهُ على شجرةٍ ليَجِفَّ ؛

فَخَطَر لِأَحَدِ المشركين ، واسمهُ : « **غورث بن الحارث** » أَنْ يَغْدِر بِرسُول الله « ﷺ » فتقدَّم فى حذر وخفْيةٍ حتى قام عند رأْس النبى « **عليه السلام** » ، وبيدِهِ صقيل ، سلَّهُ ثم قال : يا « **محمد** » مَنْ يَمْنعك منى اليوم ؟ فقال : [**الله** ...] ؛ فَأَرْتجَ على « **غَورث** » وآرْتجف وسقط السيْف من يَده ، فأَخَذَه « **عليه الصلاة والسلام** » وشَهَرَهُ فى وَجْهِ « **غَوْرث** » وقال : [**من يَمْنعُكَ مِنى** ..؟] قال : لا أحد ، وأَنا أَشْهَدُ أن لا إلٰه إلا الله وأَنَّ « **محمداً** » رسُولُ الله ...

ثم عاد إلى قوْمِهِ ، وراح يَدْعوهم إلى الإِسلام .

ورَجَعَ رسُولُ الله « ﷺ » إلى « **المدينة** » ...

[أَوّلُ اليهُود غَدْراً .. « بَنُو قَيْنُقاع »]

ولا تَظُنَّنَ — يا بُنَىَّ الْعَزيز — أَنّ القتال وَحْدَهُ ، كان مِحْور حياة المسلمين فى تِلْك الآونة ، لا هَمَّ لهُم غيرُه،... بل كان هُناك التشْريع والتَنْظيم والتدبير ، واسْتِحْكام أَمْرِ المجتمع الإسلامى على أُسُسٍ من البناء السليم ، فى كُل شأْنٍ ، وفى كُلّ أَمْر .

ففى ناحية تَنْظيم العلاقات الاجتماعية ودرْء خَطَرِ الفتْنةِ عن الناس ، أَنْزَلَ الله تعالى تشريع الْحجاب ..

ومن هُنا كان سَبَبُ غزوة « **بنى قَيْنُقاع** » أَوّل اليهود غدْراً بالمسلمين ، إذْ حَضَرتْ امرأة مسلمة من البادية إلى سوق الصّاغة من مساكن يهود « **بنى قَيْنُقاع** » ، وهى ضاربة الحجاب ...

فلما دَخلَتْ دُكان أَحدِ الصاغة ، راودَهَا الصائغ على خَلْعِ الحجاب ، فلم تَفْعل ، وتجمَّع حوْلها بعض اليهود يسخرون منها ويهزءون بها ، كما عَمَدَ أَحدهُم إلى ربْط طرف غطاء رأسها بطرفِ المقعد الذى تجلس عليه ، فلمّا قامت ، انكشفَتْ عَوْرتها ، فصاحت وصَرَخَتْ ، فَوَثَبَ رجُل من المسلمين على اليهودى فَقَتَلَهُ ، لكن اليهود تكاثروا وفَتَكُوا بالْمُسْلم ...

وخَرجَ إليهم رسُولُ الله « ﷺ » فحاصَرَهم مدة خمسة عشر يوْماً ، حتى نزلُوا على حُكْمِهِ .

[سريَّةُ « زيْد بن حارثة » إلى القردة ...]

ونُمى إلى رسُول الله « ﷺ » أن قافلةً لِـ « **قريش** » تحْملُ فضة ، تقْصد « **الشام** » عن طريق العراق ، إذْ غيَّرت « **قريش** » طريقها التى كَانَتْ تَسْلكه قبْلاً ، عن طريق المدينة .

فَبَعَث رسُول الله « ﷺ » جماعةً من المسلمين بقيادة « **زيْد بن حارثة** » ـــ رضى الله عنه ـــ لاعْتراضها ، فوافاها عند ماءٍ يُقال له « **القردة** » ، فاستَوْلى على ما فيها ، وهَرَبَ الرّجال .

وعاد « **زيد** » ومن معه إلى « **المدينة** » محمَّلاً بالْغنيمة .

[مَقْتَلُ « كَعْب بن الأَشرف » اليهُودى ...]

وكان « **كعبُ بن الأشرف** » أحد أثرياء يهود المدينة ، قد اتَّخَذَ له حِصْناً ، مسْكناً ...

وكان شاعراً ، وَسِيماً ، مغروراً ، شديد الحقْد على المسلمين ، يَقُول فيهم الشَّعْر الفاحش ..

وقد قَصَد بَعْد « **بَدْرٍ** » إلى « **مكة** » يُحرِّض « **قريشاً** » على الثّأر من المسلمين ، وقال شِعْراً بَذيئاً فى نساءِ المسلين ؛ فأهْدَر رسُولُ الله « ﷺ » دَمَ « **كعْب** » لِغَدْره وخيانتِهِ .

فقال « ﷺ » [**مَنْ لـ « ابْنِ الْأَشْرَف » ؟**]

فقال « **محمد بن مَسْلَمَةَ** » ـــ رضى الله عنه ـــ أنا لَكَ بِهِ يا رسُول الله ؟

ثم تَواعَدَ « **محمد بن مسلمة** » مع أربعةٍ من إخوانه هم : « **أبو نائلة** » ؛ ـــ وكان أخاً لـ « **كعب** » من الرّضاع ـــ ، و « **عبّاد بن بِشْر** » و « **الحارث بن أوْس** » و « **أَبو عَبْس بن جَبْر** » ...

على قَتْل « **كعْب** » والخلاص منه ، ثم وَضَعُوا خُطّة .

فجاءوا إلى « **كعْبٍ** » فى حصْنِهِ ـــ سَكَنِهِ ـــ ، وقدَّموا « **أبا نائلة** » ، فتحدَّث إلى « **كعْب** » ، وتناشدا الشعْر ، ثم قال « **أبو نائلة** » : لقد جئْتك فى حاجةٍ ...

ثم ذَكَرَ « **أبُو نائلة** » أن مجيء « **محمد** » – ﷺ – إلى المدينة كان شؤماً ووبالاً على أهْلِها ، وكان ذلك مخادَعَةً مِنْه لِـ « **كعْب** » ... ثم طَلَبَ معونةً ...، لهُ ولإخوانِهِ ..

فقال « **كعْب** » : ترهنونى أبناءَكُم ...

فقالوا : أتريد أن تعيب علينْا الْعَربُ ذلك ...!؟ نَرهنك السّلاح .

واتّفقُوا على ذلك .

ثم أَتَوْهُ فى ليْلةٍ تالية ، فنزَل إلَيْهم ، وطلبُوا إليه أن يَتمشُّوا قليلاً ، ليستمْتِعُوا بجِوِّ اللّيْل الساحر المُنْعِش ..

فوافقَهُم ...

فلمّا مَضُوا بعيداً ، اتقضّوا عَلَيْه حتى أَثْخَنُوهُ جراحاً ، ثم طَعَنَهُ « **محمد بن مسلمة** » طعنةً نافذةً أَخْرسَتْ لسانه إلى الأَبَد ، فاجتَزُّوا رأْسَهُ ، وحملُوهُ إلى رسُول الله « ﷺ » .

ثم كانَتْ غزوة « **أُحُد** » ....، فى شَهْر « **شوّال** » سنة ثلاثٍ من الهجرة .

ومن غزْوة « **أُحُدٍ** » – يا بنىّ العزيز – بوقائعها ونتائجها نتعلَّم كثيراً من الدروس والْعِبَر ؛ أرجو أن تُدْركها من خلال الْعَرْض بإذن الله تعالى .

لقد كانت جروح « **بَدْر** » ، من قتْلى وجَرْحى وأَسْرى وضياع أموال ، عميقة الأَثَر فى نفوسِ القرشيّن ، المْوتورين والحاقدين ، فأَخذوا يُعدّون العُدَّة للثأْر من المسلمين ، خصوصاً وأن قَسَمَ « **أبى سفيان** » لم يحقّق شيئاً فى غزوة « **السَّويق** » ، وذَهَبَ مع الريح .

فَوَعَدَ « **جُبيْر بِن مُطْعِم** » غلاماً لهُ حيشياً يُدْعى « **حبشياً** »

يَقْذف بالْحرْبةِ فلايُخطىء ، إن هُوَ قَتَلَ « **حَمْزَةَ بن عَبْد المطلبَ** » ، يكون حُرّاً . فكانَتْ « **هِنْد بِنْت عُتْبة** » كلّما مَرَّت بـ « **وحْشىّ** » تقولُ له : اشْفِ واشْتَفْ « **أبا وسْمة** » .

ذلك أَنّ « **حمزة** » ـــ رضى الله عنه ـــ كان فارس الإسلام بلا منازع يَوْمَ بَدْرٍ وقد فعَلَ الأفاعيلَ فى « **قريش** » .

وهكذا ، سارت الْأُمور فى « **قَرْيش** » للاستعْداد ليوْم الثّأْر على قَدَم وساق ؛ وكان الشُّعراء مِنْهم يذكون[1] حماس الْحِقْدِ فى نفوس الناسُ بأَشعارهم وقصائدهم ؛ أَمثالُ « **أبى عَزَّة** » ـــ الْجُمَحِىّ ـــ، الذى كان يقول :

أيا بنِي عَبْد مناة الرُّزام[2] ... أَلَسْتُم حُماةٌ وأبوكُم حام
لا يَعْدُوَنّى نَصْرُكم بعد العام ... لا تُسْلِمُونى ، لا يَحِلُّ إسلام

وخرجت « **قريش** » من « **مكّة** » بعد أن أكملت استعْدادها ، واسْتَنْفَرَتْ حُلَفاءَها من أهل « **تهامة** » ومن « **كنانة** » ... وغيرهم .

خرجت بحَدِّها وحديدها[3] ، بقَضِّها وقضيضها[4] ، حتى خَرَجَ أَكْثَرهُم بنسائهم مَعَهُم حَفزاً للذّودِ عن الْأَعْراضِ والْأَنْفُس .

حتى نَزَلُوا عند سَفْح « **أُحُدٍ** » .

وكان رسُول الله « ﷺ » قد تشاوَرَ مع أصحابِهِ حين بَلَغَهُ خُروج « **قريش** » ، وكان من رَأْيه « **عليه الصلاة والسلام** » التحصُّنَ داخل « **المدينة** » وعَدَم الخروج منها ، إلاّ أَنَّ طائفةً من شباب المسلمين غَلَبَهُم الحماس ، خصوصاً أولئك الذين لم يَشْهدوا « **بَدْراً** » ، ولم يحُوزوا شَرَف القتالِ فيها ، رأَوا أن يَخْرجُوا لِلِقاءِ عدوِّهم ، فلا يُظَنَّنَّ

---

(١) يذُكون يشعلون ويؤججون ويثيرون .
(٢) الرُّزمُ : الثابتون فى ميادين القتال .
(٣) أى بكل سلاح لديها .
(٤) بكل جموعها .

بهم الجُبْن والخوْف ، وكان « **حمزةُ** » ــ رضى الله عنه ــ أَكْثَرُ طالبى الخروج حماساً ...

فَنَزَل رسُول الله « ﷺ » عِنْد رَأْيِهم عل كُرْهٍ منه ، ثم قام فَلَبِسَ دِرْعه .

فقال بَعْضُهُم لِبعضٍ : لقد أَغْضَبْتُم وأكْرَهْتُم رسُول الله « ﷺ » !!

فلما خَرَج إليْهم ، اعتذروا وتراجعُوا ، فقال « **عليه الصلاة والسلام** » :

[**لَيْس لَنبىّ لأُمَتَهُ للْحَرْب أن يَخْلَعَها حتى يَفْصل الله بَيْنَهُ وبَيْنَ عدوّه**] .

وكان « **عليه الصلاة والسلام** » قد رأى فى ليْلةٍ سابقة رؤيا ، فقال لأَصْحابِهِ : [**قد رَأَيْتُ والله خَيْراً ، رأَيْتُ بَقّراً تُذَبَّح ، ورأَيْتُ فى ذُباب[1] سيْفى ثلماً[2] ، ورَأَيْتُ أنّى قد أَدْ خَلْتُ يدى فى دِرْعٍ حصينةٍ ، فأوَّلْتُها المدينة**] ..

والبقر المذبّح ؛ يَعْنى كثْرة الْقَتْلى ، والذباب فى سَيْفِهِ « عليه السلام » فُقْدان أَحَد أَهْله وخاصّتِهِ ؛ فكان « **حَمْزة** » ــ رضى الله عنه ــ .

وخَرَج « **عليه الصلاة والسلام** » فى كامل تعْبئةٍ لِقُواتِهِ ، فلمّا كانوا فى بعض الطريق ، تخلّى عَنْهم المنافقون ورجعُوا إلى المدينة ، وعلى رأْسهم « **عبد الله بن أُبىّ بن سَلول** » .

ونَظَّم « **عليه الصلاة والسلام** » قواته ، فَجَعَل نَفَراً منْهُم على تلٍ مُرْتَفِعٍ ، وهُم الرُّماة ، لِيَحْمُوا ظُهُورَ المسلمين ، وحذّرهم أن يَتْرُكُوا أَماكِنَهُم ، سواء كان النَصْر أم كانت الهزيمة .

---

(١) ذباب السيف طرفه الذى يضرب به .   (٢) ثلما : كسرا .

وبدأ القتال بالمبارزة أوّلاً ، وهى مقدِّمات المعارك عند الْعَرَب ، يُورونَ بها نفُوس المقاتلين ويَلْهِبُون حماسَهُم .

ونزل إلى الميدان « **أبودُجانة** » — « **سماك بن خَرَشة** » — رضى الله عنه ، فما بارز فارساً من المشركين إلاّ صرَعه وتركه جُثّةً هامدة فوق الثرى ؛

ثم آشْتَبَك الفريقان ،

وما هى إلا جوْلات حتى دارت الدائرة على المشركين ، ووَلُّوا هاربين ، مخلّفين وراءهم كثيراً من المغانم ..

عندئذٍ ، تحرَّكَتْ فى نُفوس أَكْثَر الرَّماةِ فوق التَّل ، نَزْعَةُ حُبّ المغْنَم ، فتركوا أماكنَهم غير آبهين لتحذيرات قائدهم « **عبد الله بن جُبَيْر** » ، ولا مُتَذكِّرين نَصيحَة رسُول الله « ﷺ » وتنبيهه ...

وكان على خَيْل المشركين يومئذ « **خالد بن الوليد** » ، فآلْتفّ من وراء التّل بالْخَيْل وراح يَضْرب فى مؤخّرة المسلمين ، مما أَوْقَعَ الْهَلَعَ والْفَزَعَ فى نُفُوسهم ، وغيَّر ميزان المعركة لصالِحِ « **قرَيْش** » ، التى ارتدَّت إلى الميدان ، وراحت تَضْرب وتَضْرب ...

وبدأ شهداء المسلمين يتساقطون واحداً تِلْوَ الآخر .

وتقدم « **وَحْشِىٌّ** » حتى قارب « **حَمْزَة** » ، وهُو لا يراه ، **فَهَزَّ** حرْبَتَهُ فى يَدِه حتى توازنَتْ ، ثم أَطْلَقَها فآسْتَقَرَّتْ فى وسط « **حَمْزة** » وخرجت من ظَهْرِه ...

وَلَجَّ رسُولُ الله « ﷺ » مع نَفَر من أصحابه صُعُوداً فى الْجَبَل ، وتفادياً لسلاح العدوّ ، من سيوف ورماحٍ وسهام ،

ولقد شُجّ وَجْهُهُ « **عليه الصلاة والسلام** » ، وكُسِرتْ رَباعيَتَهُ ،

وأرجف أَحَدُ المشركين ويُدْعى « **ابن قَمِئَة** » بمَوْتِهِ « **عليه السلام** » ، مما ساعَدَ على تخاذُل الناس وضَعْفِهِم وانهزامهم .

وظَهَرتْ بُطولات من بعض الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ تَبْلُغْ حدَّ الأساطير ، مثل ما كان تبلغ من « **مصْعب بن عُمَيْر** » ـــ حامل اللّواء ، إذ قُطِعَتْ يمينهُ ، فاحْتَضَنَهُ بيسارِهِ ، فقُطِعتْ هى أَيْضاً ، فَضمَّهُ إلى فخذيْه ، حتى سَقَط طريح الأَرْض مُضرَّجاً بدمائه ، يلفظ أنفاسه ،

لقد كان ـــ رضى الله عنه ـــ حريصاً على أن لا تَسْقُطَ راية الإسلام ، وراية رسُول الله « ﷺ » ، **ولوْ كلّفهُ ذلك حياته .**

وما كان أَيضاً من « نُسَيْبَة بنت كعْب المازنية » ـــ أم عمارة ـــ رضى الله عنها ـــ، التى اخْتَطَفَتْ سيْفاً من أَحَدِ الهاربين ، ووقَفَتْ تدافع دون رسُول الله « ﷺ » وتحميه ، حتى ضربها « **ابن قَمِئَة** » على كتفها فأصابها بجرْحٍ عميق ، فصَرخ رسُول الله « ﷺ » بآبْنها أن أَدْرك أُمّك ، فقالت : ادْع الله لنا يا رسُول الله أن نكُونَ رفقاءَك فى الجنة ، فدعا لها ، فقالت : لا أبالى بعد ذلك بالموت .

ومثّل المشركون بشهداء المسلمين ، فجدعُوا[1] أنوفهم ، وقطعُوا آذانهم ، كما بُقرَ[2] بَطْن « **حَمْزة** » ـــ رضى الله عنه ـــ، فأَخَذَت « **هِند بنت عُتْبة** » كبِدَه ، فلاكتْها[3] بيْن أسنانها فلم تَسْتسِغْها فلَفَظَتْها .

وكانت « **هِنْد** » فى أثناء المعركة ، تُزَغْرِد وتهْزج[4] وتقول :

ويهاً بنــى عبـــد الـــدار ويهاً حُمـــاة الـــــدار

ضَرْبــاً بكُـــل بتّــار

---

(١) الجَدْع : القطع .

(٢) بُقربطنه : شق وفتح .

(٣) لاكَتها : مضغتها

(٤) تهزج تردد نشيداً تتغنى به .

وتقول :

إن تُقْبِلُوا نُعانِقْ ... نَفْرُشُ النَّمارق
أو تُدْبِروا نُفارق ... فراق غير وامِق

وهدأ صليل السيوف ، وصهيل الْخَيْل ، وقَعْقَعَةُ السلاح ، وغادر القُرشيون الميدان .

ونَزَل رسُول الله « ﷺ » من الجبل ، ووقف عنْد جَسَدِ « **حَمْزَة** » المسجى وقْفة غيْظٍ وحَنَق ، ثم أَمَرَ بالقتْلى والشهداء فَصَلّى عليهم ، ثم دفِنوا هناك .

وعاد المسلمون إلى المدينة ، وكانت ليلة ليلاء ...، خَيم فيها الحزْن على بيوتها ودُورها وأحيائها ...

وبيْنما الناس فى صميم أَحْزانهم ، إذا بمنادى رسُول الله « ﷺ » يَدْعو الذين حَضَروا « **أُحُداً** » رغم جراحهم وتَعَبِهِم أن يتهيئوا لِلْخُروج ، لملاحقة المشركين ومطاردتهم ...

فَفَعَلُوا حتى بَلَغُوا مكاناً يُدْعى « **حمْراءَ الْأَسَد** » ؛ وكانت « **قريش** » بيْن أمرين ، هلى تكرّ نحو المدينة فَتَقْضى على البقية الباقية من المسلمين ، أم يُتابعُوا سَيْرهم إلى « **مكّة** » ..

ولقد أَرْسَل رسُول الله « ﷺ » نَفَراً من أَصْحابِهِ طليعةً له ، على رأسِهِم « **على بن أبى طالبٍ** » كَرَّم الله وَجْهَه .

والْتقى « **أبو سفيان** » بـ « **معبد الخزاعى** » ، عند « **حَمْراء الأسد** » قادماً من قِبَل المدينة ، فسأَلَه : ما وراءَك ؟ فقال لَقَدْ خَرَجَ « **محمد** » فى جَيْشٍ كثيف يريدكم[1] .

عندئذٍ ، بادروا مُسْرعين فى الْفِرار لا يلْوونَ على شىء ، جُبْناً

---

(١) كان « **معبد** » مُحباً لرسُول الله « ﷺ » ، فأراد بهذا القوْل تخديعَهُم .

ورهْبةً وخوْفاً ...، من غَيْر تدبيرٍ ولا تنْظيم .

وبقى بَعْضَهُم غارقاً فى نوْمِهِ ، وقد هَدَّه تَعَبُ المسير ، مِنْهُم « **أبو عَزَّة** » الشاعر ، فداهمتْه قوات المسلمين ، مع غَيْرِهِ ..

فلما قُدِّم بَيْن يدى رسُول الله « ﷺ » ليَضْرِبَ عُنُقَهُ جزاءً بنكوصِهِ[1] عن العهْد الذى قطعه على نَفْسِهِ يَوْم « **بَدْرٍ** » حين عفا رسُول الله « ﷺ » عنه ، رفْقاً ببناتِهِ ..، بِعَدَمِ قوْل الشعر فى التّحريض على المسلمين .

أَخَذَ « **أبو عَزَّة** » يكرّر القوْل الذى قاله يَوْم « **بَدْرٍ** » مُسْتَرْحِماً رسُول الله « ﷺ » .

فقال له « **عليه الصلاة والسلام** » .

[إن المؤمن لا يُلْدَغُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْن]

ثم أَمَرَ بضَرْب عُنُقِهِ .

ثم عاد رسول الله « ﷺ » إلى « **المدينة** » ..

ولعلّك ــ يا بُنَىَّ العزيز ــ قد آسْتَرْوَحْتَ المْوعظة والْعِبْرة من أحداث ووقائع غزوة « **أُحُدٍ** » ، وفَهِمْتَ مؤشّراتها ؛ لتكُون لَكَ ، ولى ، ولِأُمَّتنا الإسلامية ، دَرساً ومثلاً .

[السنة الرابعة من الهجرة ...]

[بَعْث الرَّجيع ...] :

و « **الرجيع** » اسمٌ ماءٍ لقبيلة « **هُذَيْل** » بناحيةٍ من نواحى « **الحجاز** » . والقصة : أن جماعةً من قبيلتىْ « **عَضَل** » و « **القارة** » جاؤوا إلى رسُول الله « ﷺ » يقولون : يا رسُول الله إنّ فينا

(١) نكص : تراجع .

إسلاماً ، فَابْعَثْ معنا نَفَراً من أصحابك يفقّهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ويعلّموننا شرائع الإسلام .

فبعث معهم « ﷺ » سِتَةً من أَصْحابه هم : « **مَرْثَدُ بن أبى مَرْثِدٍ الغنوىّ** » و « **خالد بن البُكَيْر** » و « **عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح** » و « **خُبَيْبُ بن علىّ** » و « **زيْد بن الدَّثِنَّة** » و « **عبد الله بن طارق** » .

فلما كانوا فى بَعْض الطريق ، ووصلوا إلى « **الرَّجيع** » ، غدروا بهم ، وخَرجَّتْ عليهم قبيلة « **هُذَيْل** » ...، وقالوا لهم : إنا والله ما نُريد قَتْلَكُم ، ولكنا نريد أن نُصيب بكُم شيئاً من أهل « **مكة** » ..

فأما « **عاصم** » و « **مرْثد** » و « **خالد** » ، فقد رفضوا الاستسلام ، وقاتلوا حتى قُتِلُوا ، وكان « **عاصمٌ** » — رضى الله عنه — قد أَقْسَمَ أن لا يمسّ مشركاً ولا يمسّه مُشرِك ، وقد فَعَلَ الأفاعيل في « **بَدْرٍ** » و « **أُحُد** » في المشركين ، وكانت إحدى سيّدات « **قريش** » ، وتُدعَى « **سلافَةُ بنت سَعْد** » قد أقسمت أن تشرب الخمْر فى رأس « **عاصم** » إن هى تمكّنت منه ، لأنه قتلَ ولديْها يوم « **أُحُدٍ** » ، فلما أراد « **الهذليّونَ** » أن يحتزوا رأْس « **عاصم** » ويبيعُوها من « **سلافّة** » — بعد مقْتلِهِ —، ثارت فى وجوهِهِم الزَّنابير ، تمنعَهُ وتحْمِله ، فقالوا : أتركوه حتى يمْشى ، **فلمّا كان** المساء : **أَمْطَرَتِ** السماء مطراً غزيراً ، **فَاْحْتَمَلَهُ السَّيْل فَغَيَّبَهُ ، وبَرَّ بِقَسَمِهِ أن لا يمسَّه مُشْرِك** ..

وهكذا يكون صفاء الإيمان ، والعهْد مع الرحمـٰن !!!

وأَخِذَ الباقُون أَسْرى ..

وفى بعض الطريق ، انسَلَّ « **عبد الله بن طارِق** » من قيْده ،

وانتضى[1] سيْفه ، وقاتل حتى قُتِل .

وَبيعَ « **خُبَيْب** » و « **زيد** » فى أسْواق « **مكة** » ...

فأما زيْد ، فقد ابتاعه « **صفْوان بن أمية** » ليَقْتُله بأبيه « **أمية بن خَلَفٍ** » ، فَبَعَثَهُ مع موْلىً له يُقال له « **نِسْطاس** » إلى ضاحيةٍ فى « **مكة** » تُدْعى « **التنْعيم** » ، واجتمع حوْله طائفة من المشركين ليشهدوا مَصْرعه ؛ فسأله « **أبو سفيان بن حرْب** » :

ــ أَنْشدك الله يا « **زيْد** » ، أَتُحِبُ أن « **محمداً** ، **الآن مكانك تَضْرِبُ عُنُقه وأَنْتَ فى أهلْك** ؟!؟

فقال « **زيْد** » : والله ما أَحبُّ أن « **محمداً** » الآن ، فى المكان الذى هُوَ فيه ، تُصِيبُهُ شوْكة تؤْذيه وأَنى جالس فى أَهْلِى ..

فقال « **أبو سُفيان** » : ما رأيْتُ من الناس أحداً يُحبُّ أحداً ، كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمّدا !! ثم قَتَلَهُ « **نِسطاس** » !!!

وحَبَسوا « **خُبَيْباً** » حتى حين ، عند آمْرأَة من « **قريش** » تُدْعى : « **ماوية** » ، وتقولُ « **ماوية** » : رأيْتُه ذات يوْمٍ وفى يَدِه قُطْف عِنَبٍ مثل رأْس الرَّجُل ، وما أَعْلَمُ فى أرض الله عِنَباً يُؤْكل ...

فلما حان حَيْنُه خرجُوا بِهِ إلى « **التَّنعيم** » ــ أيْضاً ــ ليَصْلبوه ، فاستَمْهَلَهُمْ فى صلاة ركعتيْن تَقَرباً إلى الله تعالى ، ففعلُوا ، فلما رَفَعُوه عَلى خَشَبَةٍ قال : اللّٰهم إنّا قد بلَّغْنا رسالة رسُولك ، فَبَلِّغْهُ الغَداة ما يُصنَعُ بنا ، ثم دعا على القوْم فقال : اللّٰهم آحصِهِمْ عَدَداً ، وآقْتُلهم بَدَداً ، ولا تغادر مِنْهُم أحداً ،...

وكان مما رَدَّدَه ــ رضى الله عنه ــ وهو يلفظ أنفاسه فوق الْخَشَبَة :

---

(1) جمل ، وتقلد .

فوالله ما أرْجو إذا متُّ مُسْلما على أىّ جَنْب كان فى الله مضْجعى
فَلَسْتُ بمُبْدٍ للعدوّ تخشُّعاً ولا جَزَعاً ، إنّى إلى الله مَرْجعى
ولست أبالى حين أُقْتَلُ مسلماً على أى جَنْب كان فى الله مَصْرَعى ..

وتَنَاقلَتْ جنودُ الله ، من ريح وطيْر ، وغَيْرها ، سلام « **خُبَيْب** » على رسُول الله « ﷺ » وهو جالس مع أصحابِهِ فى « **المسْجد** » ، فقال « **عليه السلام** » : [**وعليْك السلامُ يا « خُبَيْب »** ....] ؛ وتبيَّن بعد هذا أن مقْتل « **خبيْب** » كان فى تلْك اللحْظة .

[« سريَّةُ بِئْر مَعُونة » ..] ــ [أوِ ــ الْقُرّاء ..]

وهى يا بنى العزيز ــ من حيْث وقائعها كثيرة الشّبه بـ « **بعث الرجيع** » ــ ولكنها أفْحَشُ وأبْلَغ ، إذ كان عدد الصحابة المستشْهدين فيها أكْثر ، ولما ترتَّب عليها من آثارٍ ونتائج بعد ذلك .

فلقد جاء أحد رجال « **نَجْد** » إلى رسُول الله « ﷺ » ، واسْمُه « **عامر بن مالك** » ولُقّب بـ « **مُلاعب الأَسِنَّة** » يسْأله ــ عليه السلام ــ أن يُرْسل وفْداً إلى أهلِ « **نجْد** » فإن فيهم إسلاماً ، فتمنّع « **عليه الصلاة والسلام** » خوْفاً من الْغَدْر ، فَضَمِنَهُم « **مُلاعب الأسنة** » ، فوافق رسُول الله « ﷺ » وأرسل ما يزيد على أربعين من أصحابِهِ ، من خيار المسلمين ؛ فَغَدَر بهم « **عامر بن الطّفَيْل** » ...، فأبادُوهم .. ومن معه من قبائل « **سلَيْم** » و « **رعل** » و « **وكوان** » .

ما عدا « **عمرو بن أمية الضَّمْرى** » ــ الذى نجا ــ **لأنّه كان** يَرْعى الشّرْح ، والذى عفا عن « **عامر بن الطّفَيْل** » ...، فعاد إلى « **المدينة** » ؛ وفى الطريق عدا « **عمرو** » على اثنيْن من قوم « **عامر** » وهو يَظُنّهما مُشْركيْن ، ــ وكانّا مُسْلِمَيْن ..

حتى أتى رسول الله « ﷺ » وأنبأه الخبر الحزين .

[غزوة « بنى النَّضير » ــ اليهود ــ..]

ولم يَنْسَ « **عليه الصلاة والسلام** » وهُوَ فى غَمْرة حُزْنِهِ على أصحابه القُرّاء ، أَنْ يدْفَعَ ديةَ القتيلَيْن خطأً ، وكان بَيْنه وبَيْن يهود المدينة ــ كما قدَّمنا ــ تحالُف وعَهْد ، فسعى إلى « **بنى النّضير** » يستعينُ بهم على دَفْع الدِّية ؛ وكان مع نَفرٍ قليل من أَصْحابِهِ ، فاَسْتقْبله « **بنو النّضير** » ورحّبُوا بِهِ ، ثُمّ دَخَلوا إلى دار من دُورهم ليتشاوروا ، فآرتأى أَحَدُهم أَنّ الْفُرْصة مُواتية للْغَدْر برسُول الله « ﷺ » وقتْلِهِ ، وهو فى قِلَّةٍ من أصحابه ، ولن تتكرَّر هذه الْفرْصة ....، فوافقُوهُ ....، فحَمَلَ حَجَراً ضخْماً ثقيلاً وعَلا بِهِ سَطْحَ الدار لِيُلْقيه على رأْس رسُول الله « ﷺ » من أعلى ...

وخَرَج الآخرون ليُخادِعُوا ...

ولكنّه « **عليه الصلاة والسلام** » ــ عندما تَغيبُوا داخل الدار ــ قام من بَيْن أَصْحابِهِ مُستأْذِناً ، فَظَنّوا أَنّه يريدُ قضاء حاجةٍ ...، ولم يُداخلهم أى شَكٍّ فى المَوْقف .

وأُسْقِطَ فى أَيْدى اليهود ، وضَيّع الله تعالى عَلَيْهم ما آئْتمروا بِهِ ..

فلما طال انتظار الصحابة ، قاموا ...، ولحقوا برسُول الله « ﷺ » فأَخْبَرهم خبر التآمر اليهودى ، وما كانوا يُدبِّرون .

ثُمّ طلب النبىُّ « ﷺ » من يهود « **بنى النضير** » أن يَخْرُجوا من جواره لأَنّهم نَقَضُوا عَهْدهم وميثاقهم ، فأَبَوا وتحصّنوا داخل مساكِنِهم وحيّهم ، بقيادةِ زعيمِهم « **حُيَىّ بن أَخْطب** » ...

فخَرَجَ إليهم رسول الله « ﷺ » فى قواتٍ من المسلمين وحاصَرَهم ستّ ليالٍ ...، وأراد « **عليه الصلاة والسلام** » أَنْ يحرّك

فيهم بواعث الْقِتال ، فأَمَرَ بقطْع نخيلهم وحرْقِه ..، وأخيراً آسْتَسْلَمُوا ونزلُوا على حُكْم رسُول الله « ﷺ » ....، وأُجْلُوا عن « المدينة » ــ مُخَلِّفين وراءَهم الْأَموال والزروع .

وفى خلال حصار « بنى النضير » أَنْزَلَ الله تعالى قَوْله : ﴿ **يا أيها الذين آمَنُوا إنما الْخَمْر والمَيْسر والأَنْصابُ والأزلام رجْسٌ من عَمَل الشَيْطان فاجْتَنِبوهُ لَعَلَّكُم تفلحون إنما يريدُ الشَيْطانُ أن يُوقِع بَيْنَكُم العداوة والبغْضاء فى الْخَمْر والمَيْسر ويَصُدَّكم عن ذِكْر الله وعن الصَّلاة فهل أَنْتُم مُنْتَهون** ﴾[1] .

وبهذه الآية الكريمة ــ كان يا بُنَىّ القَوْل الْفَصْل فى تَحرِيم الْخَمْر تحريماً قاطعاً جازماً .

[السَّنَةُ الخامسةُ من الْهِجرة ...]

[غَزْوةُ الْخَنْدق ...]

وتُسَمّى غزوة الْأَحْزاب أَيْضاً ، ــ كما جاءَ فى القرآن الكريم ــ، وسَبَبُها أَنَّ طائفةً من يَهُود ، مِمَّن شَرَّدهم غَدْرهم وخيانَتُهُم عن دُورهم وممتلكاتهم وأرضهم فى المدينة ، سَعَوا إلى « **قريش** » فى « **مكة** » وحرَّضُوها على قتال « **محمد** » ــ ﷺ ــ، وضَمِنوا لهما أن يعاوِنهم « **بنو قُرَيْظَة** » ، آخر قبائل اليهود فى المدينة ...

وتَشَجَّعتْ « **قريش** » ، وتحالَفَتْ مع قبائل « **سلَيْم** » و « **غطفان** » وغيرهما ، ثم خَرجوا إلى المدينة فى عَدَدٍ كثيف لم تعْرِفْهُ أَرْض العرب من قَبْل ، إذ بلغوا عشرة آلافِ مُقاتِل ، امتلأتْ بهم أرض المدينة من ناحية الشَّرق ..

ولكنهم فُوجِئوا عِنْد وُصُولهم بخَنْدقٍ عظيمٍ يَحتَمى المسلمون

---

(١) سورة (المائدة) الآيات (٩٠ ــ ٩١)

وراءه ...

وكان الْخَنْدق قد حُفِرَ بإيعازٍ من « **سلْمان الفارسى** » — رضى الله عنه — كخطٍّ دفاعى ، إذ سأل رسُول الله « ﷺ » أصحابَهُ عن رأيهم فى الموْقف ، حين بَلَغَهُ تَحَالُف الْأَحزاب وخروجها ، فقال « **سلْمان** » : كُنا فى فارسَ نُخَنْدِقُ حوْلنا ...

فَشَمَّر المسلمون عن ساعِدِ الجدّ وقاموا فى حَفْر الخندق ، وساعد رسُولُ الله « ﷺ » بنَفْسِهِ وبيده الشريفة فى الْعَمَل ... ، كواحدٍ من أصحابِهِ ، رضى الله عَنْهُم .

وأثناء الْعَمَل فى حَفْر الخندق اعْتَرضَتْ بَعْضَ المسلمين صَخْرة صمّاء لم تُفْلِحْ فى تفتيتها معاولهُم ، فأتَوا رسُول الله « ﷺ » ، فَضَربها ضَرْبَتَيْن فقط ، جَعَلها تتبدَّد جُذاذاً ...

بَرقتْ شُهُباً فى الأولى والثانية ، وفى كلْتاهُما كبَّر رسُول الله « ﷺ » ، وبَشَّر المسلمين بِفَتْحِ فارس والشام ، وزوال دَوْلتىْ الأكاسرة والروم !!

وبينما المسلمون فى مَوْقعِهم من الحصار ، والخندق يحْجزُ بَيْنهم وبَيْن قريش الْأَحزاب ...، جاءه « **عليه الصلاة و السلام** » من يُخْبره بأن « **بني قريظة** » قد نَقَضُوا عَهْدهم ، فاستَكْتَمَ الذى نَقَل الْخَبَر ، حتى تأكّد بنَفْسِه ، لكنَّ الْخبَرَ شاع وذاع ، ووقع المسلمون بَيْن شِقَّىْ رَحىً ، الأحزابُ من أمامهم واليهود من ورائهم ، وكانَتْ أيام خوْف ورُعْبٍ وشِدّة ، وصفها الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله :

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا آذكروا نِعمة الله عليْكُم إذْ جاءَتْكُم جنودٌ فأرْسَلْنا عليهم ريحاً وجنوداً لمْ تروْها وكان الله بما تعْملون بصيرا ، إذ جاءوكم من فَوْقِكُم ومن أسْفَل منكم وإذْ زاغت الْأبصار وبَلَغتِ القلُوب الحناجرَ وتَظُنُّون بالله الظُّنونا * هنالك آبْتُلِىَ المؤمنون

وزُلْزِلوا زِلْزَالاً شديداً ﴾[1] ..

وكان الله تعالى ، ولهُ دائماً وأبداً ، كُلُّ التَدْبير والتَقْدير ، ...

فجاءَه « **عليه الصلاة والسلام** » أَحَدُ « **بنى غطفان** » — « **نُعَيْم ابن مسْعودٍ** » — رضى الله عنه — وكان حتى تلْك الآونةِ على شِرْكه ، قَدْ خَرَج مع قوْمِهِ لقتال المسلمين ...، جاءَه مُعْلِناً إسْلامَهُ ...

وكان « **نُعَيْم** » من الوجوه البارزة فى قوْمِهِ ، وفى « **قريش** » وكذلك عند اليهود ، فقال : يا رسُول الله مُرْنى بما شِئت ، فقال « **عليه الصلاة والسلام** » : [**إنما أَنْتَ فَذٌّ فَخذِّل**[2] **عنا ما آسْتَطَعْتَ ، إنما الحرْب خُدْعة**] .

وأَدْرك « **نعيْم** » بذكائِهِ ما هُوَ مطلوبٌ مِنْه ، فرَسَمَ خُطَّةً للوقيعةِ بَيْن « **بنى قُرَيْظة** » وبَيْن « **الأحزاب** » ، يكون من شَأْنِها فكّ هذا التحالُف ، وإفْساد المْوْقف على أصحابِهِ ، وتبْديد الآمال .

فَقَصَدَ إلى اليهود أَولاً ، وقال لزعيمهم « **كعْب بن أسد** » الذى كان مْوْثوقاً عندهُ : إنّ موقفكم فيه ضَعْف وخطورة ، فالْأَحْزاب « **قريش** » و « **غطفان** » ومن معهم ، ليْسوا أَهْل الْبَلَد ، فإن كانت الدائرة عليْهم ، تركوا مواقعهم ورَحَلُوا ، وتركوكم وَحْدكم تواجهون « **محمداً** » والمسلمين ، فعليْكُم أن تأْخذُوا من الأحزاب رهائن من أبنائكم ، تضْمنوا من خلالهم بقاءَهم على الحصار ، والقتال ...، إنْ طلبوا إليْكم القتال ...، فاستصْوَبُوا رأْيَهُ ووافقوه .

ثم سعى إلى الْأَحْزاب ، واجْتَمَعَ بـ « **أبى سفيان** » قائِدهم ، وقال

---

(١) سورة (الأحزاب) الآيات (٩ — ١١) .

(٢) فذ : فرد واحد . فخذّل : أى حاول بالخداع أن تضعف عزيمتهم وروحهم المعنوية حتى يصيبهم الخذلان .

له : لقد عَلِمْتَ بأن « بنى قُرَيْظة » قد ندمُوا على ما فعَلُوا من نَقْضِهم عَهْدهم مع « محمد » ووعدوه أنْ تُسلِّمُوهُ بعضاً من أبنائكم لِيَضْرب أعناقهم ، بعد أن يَطْلُبُوا مِنْكم رهائن ، ومن أَجْل التحقُّق مما أقول اطْلُبُوا إِلَيْهم أن يَسْتعِدوا للْقِتالِ غداً ...

ففَعَل « أبو سفيان » ما اقْتَرحَهُ « نُعَيْم » ، فجاءَه الردُّ من اليهود : أنّ غداً السَّبْت ، ونَحْن لا نُقاتِل فيه ، وأيْضاً نُريد منكم عشر رهائن من أبنائكم لِنَضْمَنَ استمراركم معنا ...

فَتحقّق « أبو سُفيان » عندئذٍ من صِدْق قوْل « نُعَيْم » ...، وبدأ التخاذل يدبّ إلى صُفُوفِ الْأَحزاب ، بعد أن حال الخندق ــ أيْضاً ــ بيْنهم وبَيْن القتال .

وفى تلْك اللَّيْلة ، هبَّت ريحٌ شديدة ، باردة قاسية ، فاقْتلَعَت الخيام ، وأكْفأت الْقُدور ...، فَأَجْمَعَ « أبو سفيان » ومن معه على مغادَرَةِ المكان ...

ومع انبلاج الْفَجْر ، كانَتْ أَرْض مُعَسْكَر الأَحزاب قَفراً ، بَلْقعاً ، لا أَثَرَ فيها لإنسان ، وكفى الله المؤْمنين القتال ...

[القصاص من « بنى قُرَيْظَة » ... لِغَدْرِهم ونَقْضِهم ...]

وعاد المسلمون إلى « المدينة » ، ودَخَلَ رسُول الله « ﷺ » دارهُ ، وبَيْنما هُوَ يغْتسل ، جاءَه « جبريلُ » ــ عليه السلام ــ ، فقالت « عائشة » : يا رسول الله إن « دِحْيَةَ بن خليفة الكلبىّ »[1] بالباب ، فَخَرج « عليه الصلاة والسلام » وشعْره الشريف يَقْطرُ ماءً ، فإذا « جبريل » بالباب ، يَطْلُبُ إليْه أن يُبادِر فى قتال « بنى

(١) هو أحد الصحابة رضوان الله عليهم ، كان جبريل يأتى رسُول الله « ﷺ » فى صورته أحياناً .

« قُرَيْظة » تأديباً لهم على ما كان منهم من غِدْرٍ وخيانة ...

وقال « عليه الصلاة والسلام » لِـ « عائشة » : إنّه « جبريل » فى جَيْشٍ من الملائكة قد سَبَقنا إلى « بنى قُرَيْظَة » ...

ثم أَمَرَ منادياً أن يُنادى فى الناس : من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُصَلِّيَنّ الْعَصْرَ إلاّ فى « بنى قُرَيْظة »....

وخَرَج « عليه الصلاة والسلام » إليهم ، وقد أَرْسَلَ « عليّاً » فى نَفَرٍ من الصحابةِ طليعةً لَهُ ؛ فلما أتاهُم حاصَرَهم ، وقد آخْتَلَفُوا وهُمْ فى حُصُونهم على أكْثَر من رَأْى فى مُعالَجة المَوْقف ، رَفَضُوا الخروج والمواجهة ، ورفضُوا الاستسلام ، وآثروا امْتداد الحصار ....، وظنُّوا أَنَّهم ما نعَتُهم حصونهم .

وبعد يأْسٍ وقنوط ، آرْتَضَوا أَنْ يَحْكُم فيهم « سَعْد بن معاذٍ » — رضى الله عنه ؛ فقال : إنى أَحْكُم فيهم أن يُقتلُوا ، وتُقْسم الأموال ، وتُسبى الذرارى والنساء ، فقال رسُول الله « ﷺ »لِـ « سعْد » : [لقَد حَكمْت فيهم بحُكْم الله من فوْق سَبْعةِ أَرقعة][1] .

وتوفّى « سَعْد » — رضى الله عنه — بعد ذلك ، بسبب جُرْحه الذى أصابَهُ يوم الخَنْدق ، ونَكَأ[2] بعد ذلك .

[زواجُه « عليه السلام » من « أُمِّ حبيبة » — رَمْلَةُ بنْتُ أَبى سُفيان]

وكانت قد هاجَرَت مع زَوْجها « عُبَيْد الله بن جحش » إلى الحبشة ، وهنا آرْتَدَّ وتَنَصَّر ، وأُغْرق[3] فى شُرْب الخَمْر حتى مات .

وبَلَغَ ذلك رسُول الله « ﷺ » فأَرْسَل « عمرو بن أُمية الضَمْرى » إلى « النّجاشى » لِيَخْطب له « أم حبيبة » ، تكريماً لها

---

(١) أى من فوق سَبْع سنوات .

(٢) نكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ (أى بعد أن التأم عاد فانفتح)

(٣) أسرف .

ووفاءً منه « ﷺ » لِصُمُودها على الإيمان والإسلام .

[السّنة السادسة من الْهجْرة ... و « عَهْد الحُدَيْبِيَة » ..]

قال تعالى : ﴿ إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً ليَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّم من ذَنْبكَ وما تأخَّرَ ويُتِمَّ نِعْمَتَهُ عليك ويَهديَكَ صِراطاً مُسْتقيماً ، ويَنْصُرك اللهُ نَصْراً عزيزاً ﴾

[الفتح : ١ — ٣]

وفى شَهْر « **ذى القعْدة** » ، من السّنَة السّادسة — خَرَج رسُول الله « ﷺ » إلى « **مكة** » مُعْتَمراً — زائراً — يَسُوق الْهدْى ، إلى البيْتِ الْعتيق ؛ وقد آسْتَنْفَرَ الأعراب من بوادى المدينة ،

حتى إذا كانوا بـ « **الْحُدَيْبية** » ، وهى ماءٌ فى « **مرِّ الظهْرانِ** » على طريق « **مكّة** » ، بَلَغهُ « **عليه السلام** » أَنّ قريْشاً قد آستنْفرت وآحْتَشَدَتْ تريدُ أن تمْنعه من دُخول « **مكة** » ، وقد عاهدوا اللهَ أَنْ لا يَدْخُلَ علَيْهم مكّة عُنْوةً أبداً .

وحَيْثُ إنّه « **عليه الصلاة والسلام** » قد خَرَج مع أصحابه مُعْتمراً ، لا يريد حرْباً ولا قتالاً ، التزم المبْدأ ، وتوقّف عن المسير ، وعَسْكَر فى « **الحُدَيْبية** » .

وبَدَأت المفاوضات والمشاورات بَيْن الطرفين ، وأَرْسَلَتْ « **قُرَيْش** » أَكْثَر من شَخصٍ إلى رسول الله « ﷺ » **لإقناعِهِ** بالْعَوْدة .

أَرْسَلَتْ « **مكرز بن حَفْص** » ، ثم « **عُرْوة بن مسعودٍ** » — الثَّقَفِىّ — ، ثم « **سُهَيْل بن عمرو** » أخيراً ، وقد فوّضُوهُ أن يُوَقع عَهْداً مع النبى « ﷺ » .

وقبْل « **سُهَيْل** » ... ، أَرْسَلَ رسُولُ الله « ﷺ » « **عثمان بن**

عفان » ــ رضى الله عنه ــ من طَرَفِهِ إلى « **قريش** » ليُفاوضهم ، لعلّهم يَقْتنعون بسلامة المقْصد ....

وغاب « **عثمان** » أيّاماً ، وسَرَت إشاعةٌ بأَنّ « **قريشاً** » قَتَلَتْ « **عثمان** » ، فبايَعَ النبىُّ « ﷺ » أَصْحابَهُ على قتال « **قريش** » والثأْر لِـ « **عُثْمان** » ....، وقد آستَظَل رسُول الله « ﷺ » تحتْ شَجَرةٍ ، فسُمّيت تلك البيعة : « **بيعة الشجرة** » ، كما سُمّيت : « **بيعة الرِّضوان** » .

ولقد قال الله تعالى فيها :

﴿ لقد رضى الله عن المؤْمنين إذْ يُبايعُونَكَ تحتَ الشَجرة فَعَلِمَ ما فى قلُوبهم فأَنْزَل السّكينةعليهم وأثابهُم فَتْحاً قريباً ﴾[1] .

وفى نهاية المفاوضات بيْن رسُول الله « ﷺ » وبيْن « **سُهَيْل بن عمرو** » ، وقد عاد « **عثمان** » من « **مكة** » سالماً ؛ آتفق الطرفان : على أَنْ تكون هُدْنة بيْنهما مدة عشر سنوات ، وأَنّ من أراد أن يدخل فى حِلْف قريش فلْيَدْخل ، ومن أراد أن يدْخل فى حِلْف « **محمد** » فَلْيدخل ، ومن أتى « **محمداً** » هارباً من « **قريش** » ردَّهُ إليْهم ، ومن أتى هارباً مرْتدَاً إلى « **قُريشٍ** » لا تردُّوه ، وأن يأتى المسلمون فى عامٍ قابلٍ إلى « **مكة** » وقد أَخْلَتْها « **قريش** » لهم فيُقيموا فيها ثلاثة أيامٍ مُعتمرين ...

ولقد كان ظاهر هذا العهْد إجحافاً بحقّ المسلمين ، كما تصوّره بعض الصحابة ، وعلى رأسهم « **عمر بن الخطاب** » ــ رضى الله عنه ــ فغَضِبُوا وتألّموا فكان ردُّ رسُول الله « ﷺ » : [**أنا عَبْد الله ورسُوله .. ولن يضيّعنى**] .

---

(١) سورة (الفتح) الآية (١٨)

والحقيقة — يا بنى العزيز — أن « **عهدَ الحديْبية** » كان إيذاناً بالْفَتْح العظيم ، فَتْح « **مكة** » ... وانتصار الإسلام ، وانْدحار الشرك إلى الأبد من الجزيرة العربية .

ومن طريف ما يُروى : أنَّ « **أبا جَندل** » — رضى الله عنه — « **سُهَيْل بن عمرو** » وكان مُسْلماً مؤمناً محبوساً فى « **مكة** » ، قد حَضَر إلى مُعَسْكر رسُول الله « ﷺ » فاراً من مخبئه ، يرسُفُ فى أغلاله[1] وقُيوده ، وكان العهْد قد تمَّ إبرامُهُ[2] ..

فَردَّهُ رسُول الله « ﷺ » إلى « **قُرَيْش** » مع أبيه « **سُهَيْل** » ، داعياً له بالمخْرَج والْفَرَج الْقريب ، بَيْن حُزْنِ المسلمين وأَلَمِهم .

وصَدَق رسُول الله « ﷺ » فى دُعائِهِ لِـ « **أبى جَنْدل** » فَقَد فرَّ للمرَّة الثانية ، ولحق بغارٍ آخر هُوَ « **أبو بصير** » — رضى الله عنه — وكوَّنوا فريقاً من المضْطهدين يقضّون مضاجِعَ المشركين ويُفْسِدون عليهم أَمْنَهُم وراحتهم ؛ حتى استغاثت « **قريش** » برسُول الله « ﷺ » وأَذْعَنَتْ لهؤلاء ، فَدَخلُوا المدينة آمنين مطمئنين .

ولقد كان « **عَهْد الْحُدَيْبية** » أوّل اعترافٍ « **قرشىٍ** » بسُلْطان الإسلام ، واعتبار رسُول الله « ﷺ » جِهَةَ تفاوُضٍ ، وهو — ولا شَكَّ — انتقال كبير ، وإنجازٌ عظيم ، بتدبير وتقدير من الله العزيز الحكيم .

[السنة السابعة ... وفَتْح « خيْبر » ...]

وتسْألُنى يا بنى العزيز عن سَبَبِ غَزْوِ « **خَيْبر** » ، مع أنها لم تُظْهر عداوة ولم تدْخُلْ فى حَرْب مع المسلمين ، وهى بعيدةٌ عن المدينة أكْثر من مائةٍ وستينَ « **كم** » ؛ فلماذا يَبْدؤها رسُولُ الله « ﷺ »

(١) الأغلال جمع غُل ، وهو القيد ، والمراد يتعثر ويعانى من قيوده .

(٢) تنفيذه : وعكسه نقضه ، ولهذا يقال : النقض والإبرام فى دنيا المحاكم والقضاء .

بالْقتال ...؟

هذا سُؤال – يا عزيزى – مَقْبُول من حَيْث الظاهر ، ولكنه من حَيْث الحقيقة بحاجةٍ إلى تَوْضيح .

فَلَقَد اتَّخَذَ بعض « **بني قَيْنقاع** » و « **بنى النضير** » و « **بنى قُرَيْظَة** » من « **خَيْبَر** » مأوى لهم ، ومُنْطلقاً لمؤامراتهم ومكائِدِهم للإسلام ، أمثال « **حُيَىّ بن أَخْطب** » و « **أبو رافعٍ – سلاّم بن أبى الْحَقيق** » وغيْرهم .

ولقد كانَتْ « **غطفان** » حليفة الأحزاب يَوم الخنْدق ، وهي من أكبر القبائل عدداً وأشدّها خطراً على الإسلام ، تُقيم قريباً من « **خَيْبر** » ، فى تحالُفِ وتعاوُن ، و « **غطفان** » – أَيْضاً – لم تَدْخل طرفاً فى صُلْح الحديبية ، فهى تُشكَّل على الدّوام خطراً يهدّد المسلمين ، وحَيْثُ إن رسُول الله « ﷺ » قد اطمأَن إلى ناحية الجنوب من المدينة فلا بُدَّ أن يؤمّن ناحية الشمال ، حَيْث « **خَيْبر** » و « **غطفان** » .

لذا كانت الغزوة ...

وفى أواخر شهر المحرَّم ، سنة سَبْع للهجرة ، خَرَج « **عليه الصلاة والسلام** » حتى نَزَلَ بَيْن « **خَيْبر** » و « **غطفان** » .

وكانت « **خَيْبَر** » أغنى مواقع اليهود فى أرض الحجاز ، أكثرها زَرْعاً ، وأشدّها تَحصيناً ، فهى عبارة عن حصونٍ متعدِّدة ، منها « **النّطاة** » و « **منيع** » وغيرها .

ثم إنّ رسُول الله « ﷺ » بدأ بمناوشتِهم فى حصونهم التى احْتَمُوا بداخلها ، من غَيْر أن يخرجُوا للمواجهة والْقتال ،

وفى أيام متعاقبة ، على يد « **أبى بكْر** » ثم « **عمر** » ، من غَيْر أن يَفْتح الله على المسلمين .

ثم قال « **عليه الصلاة والسلام** » : [**لَأُعْطِيَنَّ الراية غداً رجُلاً يُحبُّه الله ورسُوله ، ويُحبُّ الله ورسُوله ، يَفْتح الله على يَدَيه**] .

فَتَشَوَّقَ كثير من الصحابة لهذا المقام ، وفى اليوْم التالى سأل « **عليه الصلاة والسلام** » عَنْ « **علىٍّ** » — كرم الله وَجْهه — إذ افْتَقَدَهُ فى الحاضرين ، فقيل له إنّه أَرْمَد[1] ، فَبَعَثَ فى طَلَبِهِ ، فجاء ، فَمَسَحَ على عينيْه بيده الشريفة ، ودعا له ، وسلَّمَهُ الراية ...

ونَزَل « **علىّ** » إلى الميْدان ، حتى آسْتحثَّ اليهود على المبارزة ، فَخَرَج إليه فارسُهُم الذى به يَقْتَدّون ويُفاخِرون ، وكانت اسْمهُ « **مَرْحب** » ، فجال وصال وراح يَرْتَجِزْ :

قد عَلِمَتْ « خَيْبَرُ » أَنّى مَرْحَبُ شاكى السِّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إذا اللُّيُوثُ اقْبَلَتْ تَلَهَّبُ وأَحْجَمَتْ عن صَوْلة المغلّب

فَرَدَّ عليه « **علىّ** » — رضى الله عَنْه — :

أنا الذى أَسْمَتْنى أُمى « حَيْدرة »[2] كَلَيْث غاباتٍ شديد القسْوَرَة
أكِيلُكُم بالسيف كيْل السَّنْدرة

وتبارزا ، وتضاربا ، وضَرَب « **مَرْحبُ** » « **عليّاً** » ضَرْبةً شديدة ، تلقّاها بدرعَهِ — فشَقَتْها ، فتناول باباً مطروحاً تَتَرس بِهِ ، ثم ضَرَب « **مَرْحب** » ضَرْبة أشد وأَقْوى ، فشقَّت رَأْسَهُ حتى عضّ السَّيف فى أَسنانِهِ .

وكانت هذه المبارزة مفتاح نَصْر المسلمين ، وهزيمة اليهود ، فتساقطتْ حُصُونُهم واحداً بعد الآخر ، وانهزموا هزيمة نكْراء ، فَفَرّ كثير منهم ، ووقع بعضهم أَسْرى ، واستوْلى المسلمون على أَمْوالهم وكُنُوزهم ومدّخراتِهِم .

---

(١) أى أصابة الرَّمد ، وهو وجعٌ فى العينيْن . (٢) حيْدرة : من أسماء الأسد .

ولقد كانت « **صفيّة بنتُ حُيَيٍّ بن أَخْطب** » قد وَقَعَتْ فى أَسْر بعض المسلمين ، وتنازعَ بَعْضهم حوْلها ، فحازَها رسُول الله « ﷺ »إليْه وفضّ النزاع ، وتزوّجها ــ رضى الله عنها ــ بعد أن أَسْلَمَتْ وحَسُنَ إسلامُها .

أما « **غطفان** » ، فقدْ توجَسَتْ خيفةً ، ولم تحرِّك ساكناً ، وبقيتْ فى عُزْلةٍ حتى أتاها أَمْرُ الله .

[السرايا والْبُعُوث ...]

فى فتْرة الهُدْنة ، وبعد « **خَيْبر** » ، أَخَذَ رسُول الله « ﷺ » فى بَثّ السرايا والبُعُوث فى أَنْحاء الجزيرة ، مما يليه ، من ناحية المدينة ، حتى لا تكون لِـ « **قريش** » حُجّة فى نَقْضِ العهْد .

فأَرْسَلَ « **أبا بكْر الصديق** » إلى « **بنى مزرة** » .

وأَرْسَلَ « **عمر بن الخطاب** » إلى « **تُرْبة** » من أرض « **هوازن** » .

وأَرْسَلَ « **بشير بن سعد** » إلى « **بنى مرّة** » ناحية « **فدْكٍ** » .

وأَرْسَلَ « **أبا حُدْرِدٍ الأَسْلمىّ** » إلى « **الغابة** » .

وأَرْسَلَ « **عبد الله بن حذافة السَّهْمى** » إلى بعض النواحى ...

كُلّ ذلك إرْهاباً للعدوّ ، وتثبيتاً لِأَمْر الله ، واغتناماً لِلْفرْصة ، من غَيْر حيْف ولا ميْل ولا أَذى .

[عُمْــرة القضـــاء ...]

وفى شهر « ذى القعْدة » خَرَج « عليه الصلاة والسلام » بأصحابِهِ إلى « مكّة » ــ كما اتُّفِقَ عليه فى صُلْح « الحديبية » ..

فدخلها ، وبَيْن يديْه الْهَدْى ، فى جلالٍ ووقار ، بعد أن تركها مُدّة سَبْع سنوات ،

وكان « عَبْد الله بن رواحة » ممسكاً بزمام ناقة رسُول الله « ﷺ » ؛ ويُنشِد :

خلُّوا بنـى الكُفّـار عن سبيلـه ... خلُّوا ، فكل الخيْـر فى رسُولِهِ
يا ربُّ إنى مؤْمـــن بِقِيلِـــهِ ... أَعْـــرِف حقّ الله فى قبولِـــهِ
نَحْـــن قتلنـــاكم على تأْويلِـــهِ ... كما قتلناكُـــم على تَنْزِيلِـــهِ
ضَرْبـاً يُزيـل الهام عن مقيلِـــهِ ... ويُذْهِـلُ الخليـل عن خليلـــه .

وأقام « عليه الصلاة والسلام » فى مكة أياماً ثلاثة ، طافَ وسعى وأدّى المناسك ، ونَحَرَ الْهَدْى ...

ولما أَراد أن يُطيل المقام ، أَبَتْ « قريش » ، إلا ما اتُّفق عليه فى العهْد ، ثلاثة أيام فقَط ...

[السّنَــة الثامنــة ...]

قال تعالى : ﴿ إذا جاء نَصْرُ الله والْفَتْح * ورأيْتَ الناس يَدْخُلُون فى دين الله أفواجاً * فَسَبِّح بَحْمدِ ربِّك وآستغْفِرْهُ إنّهُ كان توّاباً ﴾[1] ــ صَدَق الله العظيم .

(١) سورة النصْر .

[الفتحُ الأعْظم ... فَتحُ مَكَّة ...]

وكان « **بنو خُزاعة** » قد دَخلُوا بعد صُلْح الحديبية فى حلْف رسُول الله « ﷺ » ، كما دَخلَتْ « **بنو بكْر** » فى حِلْف « **قريش** » .

وتنازَعَ الحيَان « **خزاعة** » و « **بَكْر** » ، فَأَعانَتْ « **قريش** » « **بكْراً** » حتى إنَهُمْ قتلُوا من « **خُزاعة** » مَقْتلَةً عظيمة ...

وقَبْل هذا كُلِّه ...

كان إسْلامُ « **خالد بن الوليد** » — رضى الله عنه — وغزوةُ « **مُؤته** » ، وهُما حدَثانِ من أَعْظم الْأَحْداثِ فى الإسلام ، وعلى الخصوص فى السنة الثانية من الهجْرة .

وكذلك هناك حَدَثٌ آخر هو على جانبٍ من الْأَهمية ، رسائِلهُ « ﷺ » إلى الملُوكِ والأمراء والحُكام ، يَدْعوهم إلى الإسلام ، ويُحمِّلهم وزرُّ كُفْرِ وشِرْك أقوامِهم وأُمَمِهم .

لقد وصَلَتْ إلى « **خالِدِ** » فى « **مكة** » رسالة من أخيه « **الوليد ابن الوليد** » ، الذى سبقه إلى الإسلام ، يدعُوهُ فيها إلى الحق قَبْل فوات الأوان ، ويَذكُر له فيها أنّ رسُول الله « ﷺ » لا يَعْذُرُ « **خالداً** » فى تَأَخُره ...

وكانَتْ عوامل النُضُوج ، والنُّزوع إلى الهُدى قد تفاعلتْ فى نَفْس « **خالِدِ** » — رضى الله عنه — فَسَعى إلى المدينةِ ، مسْلِماً مؤمناً بالله ورسُولِهِ .

[غَـزْوَةُ مُؤْتَـة ...]

فى تلْك الأثناء ، نُمِىَ إلى رسُول الله « ﷺ » أن حشوداً من الروم تتهيأ للإغارة على أرْض الْعَرب ، بتَحريضٍ من بَعْض عُملائهم ، للقضاء على الإسلام ورسُولِهِ .

فجهّزَ رسُول الله « ﷺ » جَيْشاً من المسلمين قوامُهُ ثلاثَةُ آلاف مقُاتِل ، وأمَّر عليهم ثلاثة أمراءٍ بالتّتابُع ؟؟!!

وللمرَّة الأولى فى تاريخ الجهاد الإسلامى يُسَمّى رسُول الله « ﷺ » أكْثر من أمير لجَيْشٍ واحد ، وكأنَّ حَدْسَهُ « **عليه الصلاة والسلام** » باستشْهاد الأمراء الثلاثة كان ماثلاً أمام ناظريْه الشريفيْن .

« **زيْد بن حارثة** » و « **جَعْفَرُ بن أبى طالبٍ** » ـــ الذى عاد من هجرة الحبشة يوْم فَتْح « **خيْبر** » ، و « **عبد الله بن رواحة** » .

وكان « **خالد بن الوليد** » ـــ رضى الله عنه ـــ فى عداد الجيْش ، لم يكّلف حتى ذلك الحين بقيادةٍ ولا مسؤولية ، وهُوَ ليس من السابقين إلى الإسلام .

فلما بَلَغُوا « **مؤْتة** » ، وهى قرية من قرى « **الأردنّ** » على حدود الشام ، الْتَقوا بجيش الروم ،

ودارت رحى معركةٍ هائلةٍ ، استشْهد فيها الأمراء الثلاثة ، واحداً بعد الآخر . وكان جَيْش المسلمين مهدداً بالهزيمة المحققة ..

فَتَصدّى « **خالد** » للقيادة ، وغَيَّر من مواقع الجنْد ، وجَعَلَ فى أقْصى مُعَسْكر المسلمين طائفةً من الناس يثيرون الغُبار ، إيهاماً للعدوّ بُوصول المَدَدُ للمسلمين ، واستطاع ـــ رضى الله عنه ـــ بهذا التدبير ، أنْ يحفظ جَيْش المسلمين ، ويُوهِنَ عزيمة العدو ،

ثم تَحْتَ جنح اللّيْل ، كرَّ راجعاً بِمَنْ مَعَهُ إلى المدينة .

هذه النتيجة ، لم تُعْجب الناس فى المدينة ، فاتَّهَموا جُنْد الجيْش بالجبْن والخوْف ، وقالوا لهم : يافُرّار[1] ، فقال رسُول الله « ﷺ » : بَلْ هُمْ كُرّار[2] .

وسمّى « **عليه الصلاة والسلام** » « **خالداً** » مُنْذ ذلك الحين : « **سيْف الله** » .

ونُعودُ إلى « **خُزاعة** » و « **بكْر** » و .. فَتْح « **مكة** » ..

فَلَقَدْ جاءَ « **عمرو بن سالم الخزاعى** » إلى رسُول الله « ﷺ » يشكو إليْه ما حَدَث من « **بكْر** » ، وَمنْ « **قُرَيش** » التى أعانَتْ فَنَقضَتِ العهْد .

فقال له رسُول الله « ﷺ » : [**نُصِرْت يا « عمرو بن سالم »**] **ولم يَزِد على ذلك شيْئاً** ، **ثم أَخذ « عليه الصلاة والسلام »** فى إعْداد العُدّةِ لفَتْح « **مكة** » ، فى سرِّيةٍ بالغةٍ ، لم يَعْرِف بها أحدٌ من الناس ، حتى ولا أقْرب المقربين إليه ـــ ﷺ ـــ ؛ ولقد كانوا يظنون ـــ على عادتهم ـــ أنّه « **عليه الصلاة والسلام** » يهيىء لِحَرْبٍ أُخرْى .

وأَدْركتْ « **قريش** » أنّها قد تورَّطت فى مُناصرة « **بكْر** » على « **خُزاعة** » فَأَرسلتْ « **أبا سفيان** » سفيراً إلى رسُول الله « ﷺ » ليؤكّد العَهْد ، ويُبَرِّرِ المْوقف .

وحاول « **أبو سفيان** » أن يُوسّط « **أبا بكْر** » فأبى ، وحاول أن يُوَسّط « **عُمر** » فأبى أيْضاً ...، فَذَهَبَ إلى دار ابنتهِ « **أمّ حبيبة** » زوجة رسُول الله « ﷺ » ، يائساً قانطاً ، ودَخَلَ عليها ، وأراد أن يَجْلس ..، فَسَحبتِ الْفراش من تحْتهِ ، فقال : أَرَغِبْت بالفراش عنّى ، أم رَغَبْت عنى بالْفِراش !!؟ فقالت : هذا فراش رسُول الله ،

---

(١) جمع فارّ .
(٢) جمع كارّ والكرّ : الهجوم على العدو عكس الفَرّ .

وأنت امرؤٌ مُشْرِكٌ نجس ، فقال : والله يا آبنتى لقد أصابك بعدى شَرٌّ ؛ فقالت : بل أصابنى الخيرَّ ، إذ هدانى الله إلى الإسلام .

وعاد « **أبو سفيان** » خالى الوفاض ، فقالَتْ له زَوْجَتُه « **هِنْد بنْت عُتبة** » وقد سَمِعتْ منه تفاصيل رحْلَتِهِ : قُبِّحْتَ من سفير قوْم .

ومع إطلالة شهر رمضان ، كان خروج رسُول الله « ﷺ » من المدينة فى جَيْش لجب كثيف ، باتجاه « **مكة** » ، لا يَدْرُون إلى أيْن المسير ...، قد غطُّوا أَرْضَ الصَحراء بِعَدَدِهم الكثير .

وأقام « **عليه الصلاة والسلام** » معسكره بِمَرِّ الظهْران ، استعْداداً للتحرَّكِ نحو « **مكة** » والمفاجأة ، حرْصاً على عَدَم إراقة الدّماء .

وخَرَج « **العباس بن عبد المطلب** » ـــ رضى الله عنه ـــ على بَغْلةِ لرسُول الله « ﷺ » إلى الأَطراف ، لينْذِر « **قريشاً** » بعَدَم جدْوى القتال ، فالْتقى « **أبا سفيان** » و « **بَدَيْل بن ورقاء** » .

فَحَمَلَ « أبا سفيان » وراءه على الْبَغْلةِ حتى قدم به إلى المعسكر ، ودَخَلَ بِهِ على رسُول الله « ﷺ » ، بعد أن أَقْنَعَهُ بعَدَم جَدْوى القتال ؛

وبين يَدى رسُول الله « ﷺ » أَسْلَمَ « **أبو سفيان** » ، فقال « **العباس** » لرسُول الله « ﷺ » : يا رسُول الله إن « **أبا سفيان** » رجُلُ يَحِبُّ الفخْر ، فهلا جَعَلْتَ له شيْئاً !؟ فقال « **عليه الصلاة والسلام** » : [**من دَخَلَ البيْت الحرام فهو آمن ، ومن أَغْلَقَ بابَهُ فهو آمن ، ومَنْ دَخَلَ دار « أبى سفيان » فهو آمن**] .

وكان « أبو سفيان » قد هاب منظر المعسكر ، ونيرانَهُ المنتشرة فى كل مكان ، وكثرة الجنْد ، فقال لِـ « **العباس** » : يا « **أبا الفضْل** »

لقد أَصْبَحَ مُلْكُ ابن اخيك اليوْم عظيماً ، فقال « **العباس** » إنها النُّبُوَّة يا « **أبا سُفيان** » .

وعاد « **أبو سفيان** » إلى « **مكة** » ليُنْذِر الناس ، ويُعْلِن الأمان لمن دخَلَ البيْت الحرام ، إن أَغْلَقَ بابه ، أو دَخَلَ دار « **أبى سفيان** » ...

ودخل رسُول الله « ﷺ » إلى « **مكة** » مُنتصراً شاكراً ، من غَيْر قتالٍ ، اللهم ما كان من كان من بعْضِ الْقرشيين ، من ناحية أَعْلاها ، حَيْثُ كان « **خالد بن الوليد** » على رأْس الجنْد .

واجْتَمَع الناسُ فى فناء الكعْبة ، بعد أَنْ حُطَمتِ الأوثان وأزيلت الأصنام ، وهُدّمت معالم الشّرْك ،

وخطب رسُول الله « ﷺ » ، وقال : [**يا مَعْشَر « قُرَيْش »** ، **ما تظُنُّون أنّى فاعِلٌ بكُم ؟**] فقالوا : خَيْراً ، أَخٌ كريم ، وآبْنُ أخ كريم ...، فقال « **عليه الصلاة والسلام** » : [**اذْهبُوا فأَنْتُم الطلقاء**[1]] .

وعادت « **مكّة** » إلى أحضان الحنيفيّة[2] السَّمْحة ، وزالَتْ مغالم الْجَهْل والجاهلية عن وجْهها المشْرق ، وطَهَّرَ الله بيْته للطائفين والعاكفين والرُّكَع السجُود .

[غَـزْوةُ « حُنَـيْن » ...]

وسَمِعَ رسُول الله « ﷺ » وهو فى « **مكة** » أن قبيلة « **هوازن** » تهيّىء لحربٍ مع المسلمين ، فَخَرج إليْهم ، وقد زاد عَدَدُ جنْدِه كثافةً ، فقال قائل من الناس :

---

(١) الطلقاء . جمع طليق ، وهو من أطلقت له الحرية فلا سلطان لأحد عليه .

(٢) الملة والديانة المائلة عن الباطل إلى الحق .

لَنْ نُغْلَبَ بَعْد اليَوْم من كثرة ...!

وكانت هذه المقالة ، مقالة غُرُورٍ ..، لا بُدَّ من تأْديبها وتَهْذيبها ، وذلك أمْرُ الله وحُكمه ، حتى يكون الجهاد دائماً وأبداً خالصاً لوَجْهه ــ تعالى .

ووَقع جُنْد المسلمين فى كمينٍ دَبَّره لَهُم قائد « **هوازِن** » وسيّدها « **مالك بن عوْف** » ، فتضَعْضعَتْ صفوفهم ، وتبدَّد إلى فتْرةٍ جَمْعَهم ، وكانت الزلْزلة شديدةً ، ثم نادى « **عليه الصلاة والسلام** » فى أصحابِهِ الخلَّص الصادقين ، فالْتفُّوا حَوْله ، وكرُّوا على الْقَوْم فى هَجْمةٍ وفاءٍ وإيمان ، مما غَيَّر الموقف لصالِحِ الحقّ ، ووقعت الهزيمةُ على المشركين ، وكان فَضْلُ الله عظيماً ..

يقول تعالى :

﴿ لَقَدْ نصرَكم الله فى مواطن كثيرة ، ويَوْم حُنَيْنٍ إذْ أَعْجبَتْكم كثْرتُكم فلَمْ تُغْنِ عنكم شيْئاً وضاقَتْ عليكم الْأَرْضُ بما رَحُبَتْ ثم وَلَّيْتم مُدْبرين * ثمَّ أَنْزَلَ الله سكينَتَهُ على رسُوله وعلى المؤمنين وأَنْزَل جُنُوداً لم تروْها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاءُ الكافرين * ثم يَتُوب الله من بَعْد ذلك على من يشاء والله غفُورٌ رحيم[1] ﴾ ...

وكانَتْ غنائم « **هوازن** » كثيرة ، من الشّاة والإبل والرِّعاء ، والأَمْوال وغير ذلك .

ثم غزا رسُول الله « ﷺ » « **الطائف** » دون أن يَفْتحها ، وتركها بعد حصارٍ دام أياماً ، حتى حضرت « **ثقيف** » فى عامٍ قابلٍ فى وَفْدها إلى المدينة مسلمةً مؤمنة .

(١) التوبة : [٢٥ ــ ٢٧] .

[السنة التاسعة من الهجرة ...]
[مِنْ « تبوك » إلى الوُفود ...]

وكانت غزوة « **تبُوكٍ** » آخر غزواته « ﷺ » ، و « **تبوك** » تقع على أطراف شبه الجزيرة العربية مما يلى الأردن ، على بُعْد سبعمائة « كم » .

ولقد خَرَجَ رسُول الله « ﷺ » من المدينة ، بعد أن سَمِعَ بحشودِ الروم ، وكان جَيْشه « **عليه الصلاة والسلام** » يزيد على عشرة آلاف مقاتل ، فى سنةٍ شديدة الجدْب[1] ؛ قليلة الخيْر ، فى قِلةٍ من المال وعُسْرةٍ ...، حتى سُمّى الجيش يومها بجيْش العُسْرة[2] ، ولقد تنافَسَ كثير من الصحابة فى البذْل والْعَطاء ، إرضاءً للهِ ورسُوله ، وكان أكثرهم سخاءً « **عثمان بن عفان** » — رضى الله عنه — ..

كما نَجَم[3] النَفاق يَوْمها ، سواء فى المتخلَفين القاعدين ، أو حتى فى بعض المرافقين للجيش ،

فلمّا بلغها « ﷺ » ، بعد رحْلةٍ شاقةٍ ومُضْنية ، لم يَجدْ جيْشاً للروم ولا كيدًا ، فَأَرْسَلَ « **عليه الصلاة والسلام** » « **خالد بن الوليد** » إلى « **أُكيْدِر** » سيد « **دومة الجَنْدل** » فقتله وأَسَرَ أخاه ، وجاء ببعض الغنائم .

كما استقْبل رسُول الله « ﷺ » هناك رسُول « قيصر الروم » وصالَحَ ملك « أَيْلَةَ » وأَهْل « جَرْباء » و « أَذْرج ».

---

(١) الجدب : القحط وقلة الزرع والخير .

(٢) العسرة : الضيق ؛ وحياة الإنسان بين عسر ويُسر ويدعو المؤمنون فيقولون : رب يسر ولا تُعسر .

(٣) نجم النفاق : ظهر . والمنافق من يخدعك ويقول لك بلسانه ما ليس فى قلبه وهو أخطر من الكافر الذى يعلن عداوته وكفره .

ثم عاد إلى « المدينة » ، سالماً غانماً .

وكان العام عام الوُفُود ، إذ أَتَتْ من كُلّ أنحاء الجزيرة تُعْلِنُ إسلامها وطاعتها ، ودخولها فى دين الله أفواجاً .

من « ثقيف » ، و « بنى تميم » و « عِبْد القيْس » و « بنى حنيفة » و « أهل نُجْران » و « بنى سعد بن بكْر » و « طىّء » و « الأشعريين » و « زبيد » و « كِنْدة » و « الأزْد » وملوك « حِمْير » ، و « بنى أسَدَ » و « عبس » و « فزارة » و « مرّة » و « ثعْلبة » و « محارب » و « بنى كلّاب » و « كنانة » و « أشْجَع » و « باهلة » و « سلَيْم » ..

وحَجَّ بالناس أوّل حجّ بعد تَطْهير « مكة » و « البيْت الحرام » « أبو بكْر » ـــ رضى الله عنه ..

[السَّنَةُ العاشرة ... حَجُّهُ ووفاتُهُ « ﷺ » ...]

وهى : حجة الْوَداع ، ولم يحجَ غَيْرها « ﷺ » ، وكان مَعَهُ فى الموقف العظيم يوْم عرفة أكْثَرَ من مائة ألْف مُسْلم ..

ولقد شرَّع فيها « ﷺ » كَثِيراً من الأَحْكام المتعلَقة بالحجّ وأركانه ومناسِكِهِ . وفيها نَزل قوْل الله تعالى :

﴿ الْيَوْم أكْملتُ لكُم دينكُم وأتْمَمْتُ عليكُم نِعْمَتى ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً ﴾[1] ..

فكانت الآية الشريفة إرهاصاً[2] وإنْذاراً بقُرب وفاتِهِ « **عليه الصَّلاةُ والسلام** » .

ولقد مَرضْ « **عليه الصلاة والسلام** » قَبْلَ وفاتِهِ بالحُمّى ،

(١) المائدة : ٢

(٢) إرهاصاً : مقدمة

وآشتكى من صُداعٍ شديد ، ولَزِم الفراش ، وتحلق المسلمون حوْله بقلوبٍ واجفةٍ داعية ، وعيونٍ زائغةٍ مضطربة ، تسحُّ منها الدُّمُوع ...

حتى لَحِق بالرَّفيق[1] الأَعْلى ، وفاضَتْ روحُه الشريفة إلى بارئها .

وقام على تَجْهيزِهِ ودَفْنِهِ عمُّه « **العباس** » و « **على بن أبى طالب** » ـــ رضى الله عنهما ـــ ، وكان يَوْماً فى المدينة مَشهوداً ، فَقَدْ وُدِّع « **عليه الصلاة والسلام** » فى حَسْرةٍ وأسى .

وكان « **عمر بن الخطاب** » من أَكْثَر الناسِ جَزَعاً لموته « ﷺ » ، وغَيْر مصَدِّق ، فكان يقول : إنها غَيْبة كغَيْبةِ « **موسى** » ، ومن قال غير ذلك ضَرَبْتُ عُنقَهُ .

وكان « **أبو بكْر** » من أَكْثَر الثّابتين ، فَأَمْسَكَ بـ « **عُمَر** » وهزّه هزّاً شديداً وتلا قوْل الله تعالى :

﴿ وما محمدٌ إلا رسُولٌ قد خَلَتْ من قبْلِهِ الرُّسُل أَفَإن مات أَوْ قُتِل انقلبْتُم على أَعْقابكم ومن يَنقلب على عَقِبَيْه فَلَنْ يُضرَّ الله شيْئاً وسيجْزى الله الشاكرين ﴾[2] ..

فقال « **عمر** » كأنى أَسْمَعُها للمرَّة الأُولى .

وخَرَج « **أبو بكْر** » ليقول للناس :

[أيها الناس ، مَنْ كان يَعْبُدُ محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومَنْ كان يَعْبد الله ، فإنّ الله حىٌّ لا يموت] ..

بُنَىَّ العزيز :

وما تَزال كلمات الصديق « **رضى الله عنه** » يُجلْجِلُ صداها فى التاريخ إلى يوْمنا هذا ...!

صلى الله عليْك وسلَّم يا سيِّدى يا رسُول الله ، وجزاك عن أُمة

(١) الرفيق الأعلى : الأنبياء والشهداء والصالحين .

(٢) سورة (آل عمران) الآية (١٤٤) .

الإسلام خيْراً ، كفاء ما أُتيتَهُم بِهِ من الهدى والحق والْفَضْل ، والْحقنا بِكِ فى الصالحين من عبادِهِ ،

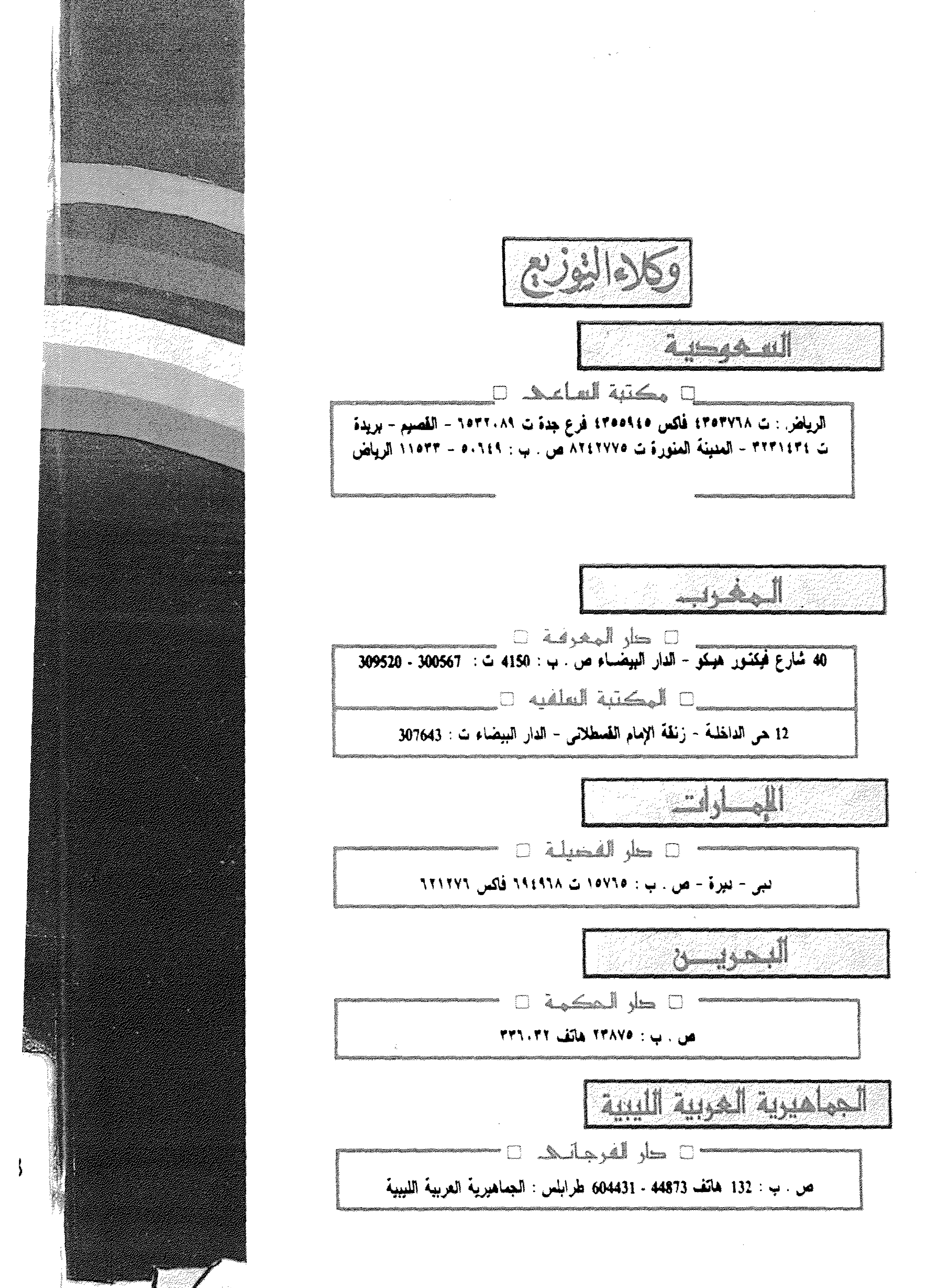
والسلام عَلْيك ، أولاً وآخراً .

والحمدُ لله ربِّ العالمين .

الفهـــرس

القسم الثانى

رقم الإيداع ٢٨٥٠ / ٨٦



وكلاء التوزيع

السعودية

□ مكتبة الساعد □

الرياض : ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩ - القصيم - بريدة ت ٣٢٣١٤٣١ - المدينة المنورة ت ٨٢٤٢٧٧٥ ص . ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

المغرب

□ دار المعرفة □

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء ص . ب : 4150 ت : 300567 - 309520

□ المكتبة السلفيه □

12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء ت : 307643

الإمارات

□ دار الفضيلة □

دبي - ديرة - ص . ب : ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

□ دار الحكمة □

ص . ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢

الجماهيرية العربية الليبية

□ دار الفرجاني □

ص . ب : 132 هاتف 44873 - 604431 طرابلس : الجماهيرية العربية الليبية